الرجل الذي يكره النساء



حازم مراد

قصصي .. بين القراء ومتاعبهم



ترددت كثيراً قبل ان اكتب هذه الكلمات ..

اني اشعر دائماً ، ان بين القراء وبيني مودة قديمة ، وصداقة متينة .. مبنية على التفاهم الكبير الذي نشأ مع مرور الأيام بيننـــا ، فاصبح قرائي يبحثون دائماً عني في قصصي التي اكتبها ..

ثم ، هم لا يكتفون بقراءة قصصي .. بل يكتبون لي عنها ، ويبدون لي عن آرائهم حول القصص ..

وانا ، تهمني جداً آراء قرائي في قصصي . .

لكنهم ، قرائي ، سامحهم الله ، لايكتفون بقراءة قصصي ، ولا بالكتابة الي وابداء آرائهم حول القصص ، فيكتبون لي عن متاعبهم . . ومشاكلهم . . ويسألوني ان ابحث معهم عن الحلول لتلك المشاكل . .

واحتار . .

ما الذي استطيع ان افعله انا لهم ! . . ولمتاعبهم ! . . ولمشاكلهم ! . . بالطبع لاشيء . .

قد استطيع ان ابدي رأيي الخاص في مشكلة ما ، لكن . . من يستطيع ان يضمن ان رأيي هذا سيكون صائباً ! . .

اعطيكم مثلا :

فتاة من البصرة ، كانت قد كتبت لي منذ اشهر قصتها ، وسألتني ان اجد حلا لمشكلتها . . قالت لي في رسالتها ، « مادمت تكتب كل هذه القصص العاطفية ، وتعالج فيها متاعبنا كشباب قد هده الاعياء واضاعته الدنيا في متاهاتها المظلمة ، ومادمت . . ومادمت . . فانك حتما ستستطيع ان تبحث معي عن الحل لمشكلتي فترشدني الى الطريق . . وارجوك ، اكتب لي ، وبسرعة . » . .

كانت قصتها محيرة ، ومعقدة ، ومربكة . . وقد وجدت في القصة اكثر من حل قد كنت اعتقد بانه من الممكن ان ينتشلها من حالة اليأس التي كانت تعيش فيها . . لكن ، من الصعب جداً ان اصف لفتاة ما ، لا اعرفها الا من خلال رسالة واحدة الحل لمشكلتها . .

لذلك ، ترددت ، ولم اكتب اليها . . وانتظرت ، والهواجس تنخر في اعصابي فتنهار في اليوم الف مرة ، وصدقوني . . اني كنت اعيش في حالة من القلق الشديد وانا افكر في قصتها ، ودائماً كنت اثور لأتفه

الأسباب . . اثور وانا في البيت . . واثور وانا في عملي . . واثور وانا مع اصدقائي . . وكأنني كنت اريد ان انتقم لها من كل انسان قد اصادفه في طريقي لأحساسي بان كل انسان في هذا المجتمع قد كان له اكثر من سبب في خلق مأساتها . .

ثم ، لا ادري كيف خطر ببالي ان ابحث قصتها مع بعض الناس . . لعلني ، بعد ان عجزت من التوصل الى نتيجة ما لقصتها اردت ان اتركها لغيري واتهرب من عبء المسؤولية الكبيرة التي اخذت تكبر في نفسي فتشعرني في كل لحظة مقبلة بالعجز والضعف . .

وبحثت في رسائل القراء . . كنت اريد ان اختار من بين تلك الرسائل بعض اشخاصها لأستطيع ان ابحث معهم مشكلة الفتاة التي كانت قد اصبحت مشكلتي الكبيرة التي تملأ علي كل تفكيري . .

واخترت خمس رسائل . . لثلاث فتيات وشابين . .

وكتبت لهم . . شرحت لهم السبب الذي دعاني للكتابة اليهم ، وطلبت منهم ان نلتقي في مكان ما . .

والتقينا . . وتعرفت بهن ، وبهما وعرفتهم ببعض . .

وكانت احدى الثلاث ، سيدة في العقد الرابع من عمرها . . وارملة ، فسألتنا ان نذهب الى بيتها لنستطيع ان نناقش الحكاية بحرية اكثر . .

ووافق الجميع ، فذهبنا الى بيتها . .

لكن ، الذي حدث اننا لم نتوصل الى الحل الذي يشفي . . ولم نتفق في الرأي . . كان كل واحد منا ينظر الى المشكلة من طرف . . فكانت اقتراحات كثيرة . . وكانت انصاف حلول مختلفة . . وكانت معالجة تغلبت فيها العاطفة . .

والتقينا مرة اخرى ، في يوم آخر ، وفي نفس البيت . .

وحدث نفس الذي حدث في اجتماعنا الأول . .

وكتبت لها اخيراً . .

قلت لها : « لو اعتمدت في حل مشكلتك على نفسك فلربما ستجدين لها الحل الذي قد ينقذك من متاعبك . . وارجوك ، حاولي ان تشركي عقلك في البحث عن الحل قبل عواطفك . » . .

ومضت الأيام . .

وذات يوم ، وصلتني بالبريد بطاقة دعوة الى زواج . . وكانت موقعة بأسمها ، وبأسم الرجل الذي تحبه . .

لم اذهب . . وارسلت لهما معاً بطاقة شكر ، وكلمات قليلة انتزعت احرفها من قلبي . .

و . .

في ليلة زواجها ، كنت احبس نفسي في غرفتي لأكتب قصتها معه ، فكانت قصة « الرجل الذي يكره النساء » .

●

فتاة اخرى من بغداد ، كتبت لي ، قالت : انها ستنتحر لو انها فشلت في قصة حبها للشاب الذي احبته وبنت على حبها له كل آمالها في الدنيا . . وسألتني عن الوسيلة التي تتبعها لتستطيع بها ان تعيد حبيبها اليها وتجعله لايلتفت الى الفتاة الأخرى التي سكنت بالقرب من بيته فشغلته عنها . .

و . .

ما الذي سأستطيع ان افعله انا لمثل هذه الفتاة ! . . وكيف سأستطيع ان اجعل فتاها يتخلى عن الفتاة الأخرى ويعود اليها ! . .

بالطبع لاشيء ..

كنت اريد ان اكتب لها ، واقول : « ان فتاك هـذا يا آنسة لايحبك .. فلو كان يحبك حقاً لما فكر ان يتخلى عنك ويبحث عن غيرك من الفتيات .. لذلك ، فمن الخير لك ان ترفضيه ، فهو لايستحق منك كل هذا الحب . » ..

لكن ..

كيف استطيع ان اجعل مثل هذه الكلمات تدخل الى العقل بعد ان اصبحت تلك الفتاة لاتفكر بعقلها بقدر ما اصبحت منقادة الى قلبها الذي يئن من الجرح العميق الذي خلفه لها ذلك الشاب ..

والتقيت بصديق لي ، طبيباً في الامراض النفسية ، فسألته عن حالة الفتاة ، فقال لي :

— تبدو لي انها عاطفية جـداً من خلال الكلمات التي كتبتها في رسالتها ، وان مثل هذه الفتاة قد لاتهمها حياتها بقدر مايهمها ان تعيش من اجل الحب او ان تموت في سبيله ..

سـألته :

— هل تعتقد انها مجنونة هذه الفتاة ! ..

قال :

— ابداً .. لكن ، من المحتمل ان تقودها حالة اليأس هـذه الى الجنون .. وقد تنتحر ..

تمنيت لحظتها لو اني لم التق بهـذا الطبيب الذي زرع الخوف في نفسي ..

وابتدأت افكر بقصتها ..

واكثر من مرة فكرت ان اكتب اليها ، واسألهـا ان تنتظر بعض

الوقت حتى استطيع ان اساعدها في حل مشكلتها ، ثم اعود فاترك فكرة الكتابة اليها حتى اجد ما اكتبه لها . .

وقبل ان اكتب اليها ، وصلتني رسالة منها ، كتبت لي فيها تقول :

« تزوج النذل من الفتاة الأخرى وتركني ، والآن فقط احسست على نفسي التي كانت ضائعة مابين حبي له وبين جنوني . . والآن فقط استطعت ان اعرف بانه لم يكن يحبني وانما كان يتخذني كجسر ليصل عليه الى شهواته ، واللعنة عليه . » . .

لاتسألوني بأي حال كنت وانا اقرأ رسالتها . . لاتسألوني . .

و . . و . . و . .

متاعب كثيرة يحملني اياها القراء في رسائلهم الي ، ودائماً يضعوني في حيرة امام متاعبهم ، وهم لا يدرون باني لست اكثر من انسان قديصيبني في يوم ما مثل مايصيبهم . .

ودائماً ، اردد فيما بيني وبين نفسي :

— من منا بلا متاعب في هذه الدنيا ! . . حقاً ، من منا ! . .

حازم

●


الرجل الذي يكره
النساء

كان يكره النساء . .

تولدت العقدة في كيانه بعد ان خانته الفتاة التي كان يحبها وتحبه ، فأحبت غيره ، وتركته وذهبت لتتزوج من الرجل الآخر الذي احبته من بعده . .

كره نفسه . . وكره الناس كلهم . . وكره الدنيا . .

كره كل شيء . .

وعاش بعض ايام الغدر والخيانة في عذاب نفسي لا يرحم . .

و . .

اراد ان ينسى حكايته مع الخيانة والغدر . . وان ينسى تلك الغادرة التي احبته في ذات يوم رهيب ثم تركته وذهبت لتتزوج من غيره . .

بذل المستحيل لينسى . .

وحاول . .

دفن ايامه في الخمر . . قالوا له : الخمر كالمورفين يجعل الخدر يتسرب الى كل حجيرة في العقل والقلب ، وستنسى كل متاعبك لو انك جربته . .

وجرب الخمر . .

ثم ، فشل . .

لم يفده الخمر في شيء ابداً ..

وقالوا له : سافر .. اترك بلدك وارحل الى بلاد اخرى بعيدة ،

ولعل البعد ينسيك عذاب الخيانة والغدر ..

وسافر ..

ثم عاد الى بلده بعد ايام قليلة وكل اعصابه يمزقها الأنهيار ..

ولم يستطع البعد ان ينسيه الذي كان ..

وقالوا له : انتقم لنفسك اذن .. لم يبق امامك الا الانتقام ..

انتقم من كل النساء .. اللواتي تعرفهن ، واللواتي لا تعرفهن .. وهنالك الف امرأة تتمناك وتشتهيك .. اخدع كما خدعت من قبل .. تحايل كما تحايلت عليك تلك الخائنة وباعتك للعذاب .. اغدر كما غدرت بك تلك . . اطعن كل امرأة تقع في دربك لتنتقم بها من تلك الغادرة التي جرحت كرامتك ومزقت لك رجولتك .. وكن رجلا .. وانتزع كل شيء تريده منهن بقوة الرجال ..

وفعل . .

خدع اكثر من امرأة ..

كل انثى كانت تصادفه في طريقه وتعجبه ، كان ينصب من حولها شباكه ليوقعها في الفخ .. وحين تقع في قبضته ، كان يمتصها بنهم ، وجوع ، حتى يشبع تلك الرغبة الكامنة في الجسد الممزق ، ثم يتركها ليبحث عن غيرها ..

واصبحت له طرق خاصة مع النساء ..

كل امرأة كانت له طريقة خاصة معها .. هنالك المرأة القوية الشخصية وعليه ان يبذل منتهى ماعنده من حيوية وذكاء ليستطيع ان يفرض شخصيته على شخصيتها حتى يجرها معه الى الفخ الذي ينصبه لها .. وهناك المرأة التافهة التي تهمها الهدايا التافهة ، فكان يغرقها بالهدايا حتى يجعلها تتعلق به وتنقاد معه الى الفخ .. وهنالك المرأة المعقدة ، فكان يحاول ان يبدو امامها معقداً لترتاح اليه كما يكون معها ، ثم يجرها ببطء ،

وتدريجياً الى الفخ .. وهنالك المرأة المراهقة ، ومثل تلك كانت لاتحتاج منه الا الى بعض كلمات الحب والغزل ، فكان يملأ قلبها بما يحفظه من كلمات الحب والغزل حتى يصل بها الحال الى ان تتبعه .. وهنالك المرأة المتفتحة على الدنيا ، السبورت .. وهنالك المرأة الغامضة .. وهنالك المرأة الشرسة .. و .. و .. و ..

اصبحت له خبرة واسعة في اصناف النساء ..

كان يستطيع ان يقدر مثلا ، وبمجرد ان يتعرف على احدى النساء ثم ينوي ان ينصب شباكه من حولها ليضمها الى قائمة ضحاياه ، انها من الصنف الفلاني ، وانه قد يحتاج الى عشرة ايام على اقل تقدير حتى يستطيع ان يجعلها تثق فيه .. وان غيرها قد لاتحتاج منه الا الثلاثة ايام حتى تمنحه ثقتها .. وان تلك قد لاتحتاج منه الا لبضع ساعات .. وان هذه قد تتعبه حتى تثق في صدق نواياه تجاهها ..

واصبح ينظر الى النساء على انهن لسن اكثر من سلع معروضة في واجهات المعارض .. وان لكل سلعة قيمة خاصة بها .. هنالك سلع جيدة ، ومثل تلك السلع يكون ثمنها عال .. وهنالك سلع وسط ، ولها ثمن معتدل .. وهنالك سلع رخيصة ، ولها ثمن تافه ..

حتى كان ذات يوم ..

والتقى بهـــا .

●

كانت تقف في منطقة السيارات بانتظار ان يأتي « الباص » لتصعد فيه حين لمحها لأول مرة ..

والتقت نظراته القلقة بنظراتها الساهمة في نقطة واحـدة مشتركة ، ثم لم تستطع نظراتها ان تصمد طويلا امام نظراته الجائعة فأدارت وجهها

عنه الى الجهة التي يقبل منها « الباص » ، وانشغلت عنه في البحث عن « الباص » الذي كان قد تأخر عن موعده ..

وابقى هو نظراته معلقة فيها وقد اخذت اشياء كثيرة في داخله تفور وتضطرب بعنف لتحرض اشياء اخرى في جسده على ان تنشط بعد غفوة عميقة ..

وتفحصها بعمق ، وبدقة .. وحاول ان يقارن بينها وبين تلك الغادرة التي تنكرت له ذات يوم فأحبت غيره وتركته وذهبت لتتزوج من الرجل الآخر .. تلك الخائنة التي احبها ، ثم علمه حبها بان الخيانة والغدر لايمكن ان تداوى الا بالخيانة والغدر ..

وابتلع ريقه بملل ، وعاد اليها بنظراته الجائعة ..

كان في عينيها نفس البريق الحاد ، الذكي ، الذي كان يجده في عيني تلك الغادرة .. وشعرها الكستنائي القصير الذي يشبه الى حد كبير شعر تلك .. فمها الدقيق ، ايضاً له شبه كبير بفم تلك الملعونة .. صدرها البارز الذي يشد نهديها ليرفعهما قليلا الى الاعلى وكأنه يتحدى بهما كل رجل قد تصادفه في دربها .. ساقاها الرشيقتان اللتان تحملان جسدها لتنقله من مكان الى آخر فتعرضه على كل الجائعين من الرجال..و..و..

كل قطعة فيها كانت وكأنها قد انتزعت من جسد تلك الغادرة لتتزرع في جسدها ..

ودق قلبه في الجوارج بعنف ..

وتضايقت هي منه .. ضايقتها ملاحقته لها ، وكل هذا الاهتمام الذي كان يخصها به دون غيرها من الذين كانوا معها في المنطقة من الناس ..

وتجاهلته ايضاً ..

وجدت ان خير وسيلة قد تستطيع بها ان تتخلص من مضايقاته لها هي

ان تتجاهله ، فادارت وجهها عنه الى الجهة الأخرى ، وتركته يتخبط مع خيالاته التي لاتعرف كيف تستقر في رأسه المشبع بالقلق . .

واقبل الباص . .

وصعدت اليه . .

وصعد هو الآخر الى نفس الباص من غيران ينتبه الى خط سيره . . لم يكن ليهمه الطريق الذي سيسلكه الباص بقدر ماكان يهمه ان يعرف المكان الذي ستذهب هي اليه . .

وجلس في المقعد الآخر الذي يقع خلف المقعد الذي جلست هي فيه ، واصبحت المسافة التي تفصله عنها لاتتعدى البضع سنتيمات . .

وتأملها عن قرب . .

ووقعت اول ماوقعت نظراته على شعرها الكستنائي القصير الذي يشبه الى حد كبير شعر تلك الغادرة ، وتمنى لو انه يمد يده الى شعرها فيداعبه بانامله كما كان يفعل مع تلك . . وتمنى لو ان اصابعه تغور بين طيات شعرها . . ثم تغور . . وتغور لتعبث فيه بجنون . . وتمنى لو انه يقترب قليلا بوجهه منها . . ويقترب اكثر . . وايضاً ، حتى يلامس بشفتيه الجائعتين شعرها ، ثم يبقي شفتيه في شعرها حتى الأبد . .

وتمنى . . وتمنى . . وتمنى . .

واحس عليها وهي ترمقه بنظرة خاطفة وحذرة من خلال الزجاجة الأمامية التي تفصل مابين سائق الباص وبين الناس وقد ازلت من فوقها قطعة من الجلد الأسود فاصبحت شفافة كالمرآة . .

وحين توقف الباص بعد قليل في احدى المناطق وقامت هي لتغادر مكانها الى الشارع ، هب هو الآخر ليسرع بمغادرة مكانه الى الشارع قبل ان يتحرك به الباص فيبعدها عنه . .

وسارت في الطريق . .

وتبعها ، على بعد خطوات قليلة منها . . كالظل . .

وتمتم فيما بينه وبين نفسه وهو يسرع قليلا ليلحق بها ، «كيف يمكن ان يحدث مثل هذا التشابه الغريب بينهما ! . . وحتى طريقتهـــا في المشي تكاد تشبه طريقة تلك الغادرة ، كيف ! . . يا الهي . » . .

وكانت على بعد قريب منه حين التفتت نصف التفـــاتة سريعة الى الوراء ، كأنها كانت تتوقع ان تراه يلاحقها باقدامه في هذا المكان ايضاً بعد ان لاحقها بنظراته طيلة الوقت الذي قضته مابين رؤيتهـــا له وحتى اللحظة التي غادرت فيها الباص . .

ورأته . . لم يخب ظنها ، واشاحت بوجهها عنـه ، ثم اسرعت في سيرها اكثر لتتخلص من مضايقاته لها في الطريق . .

ووصلت الى احدى محلات « كوي الملابس » ، ودخلته ، فعبر هو الشارع المقابل للمحل ليقف على الرصيف وينتظرها هناك حتى تخرج . .

لكنها لم تخرج . . انتظرها اكثر من ساعة ولم تخرج ، واخـذ الملل يتسرب الى نفسه المنقبضة ، المتضايقة من الأنتظار ، ونظراته الحادة مازالت مستقرة في المكان الذي دخلته ، والف هاجس محير يمزق له خياله ، وقلبه يشتد في خفقانه بين الأضلع . . كأنه كان يترصد الفرصة المناسبة التي سيشق له فيها صدره لينطلق منه باتجاه النظرات الجـــائعة التي تسبقه دائماً في البحث عن الأشياء الرائعة . .

وقرر ان يعبر الشارع الى المحل ليبحث فيه عنها بعد ان يأس من الأنتظار الطويل ..

وعبر الشارع ..

ورآهـــا ..

كانت تقف خلف الحاجز الذي يفصل مابين الزبائن ومدخل العمـــل ..

ورفعت هي رأسها بحركة عفوية الى الأعلى .. ورأته ، فارتعشت عيناها وهما تلتقيان بعينيه ، ثم اخفضتهما عنه بسرعة ، وتجاهلته وكل شيء في داخلها يرتهب من الخوف من هذا الرجل المجهول الذي يطاردها من مكان الى آخر ..

لم ينتظر هو اكثر ، وعاد ليبتعد عن المحل بعد ان قدر بانها تشتغل فيه ، وخياله يرسم له صورتها على انها نسخة طبق الأصل من تلك الغادرة التي جعلته يحبها في ذات يوم رهيب ثم تخلت عنه لغيره ..

●

وابتدأ يرسم لنفسه الخطة لاصطيادها ..

رسم الف خطة .. وكل خطة يرسمها له خياله ، كان يضعهـــا في عقله ، ويدرسها بدقة ، وبامعان ، ويقلبها في رأسه مرات ومرات قبل ان يتقبلها لئلا يفشل في تطبيقها معها فتضيع عليه ويخسرها ..

ثم ..

استقر رأيه اخيراً على خطة ..

في اليوم التالي ، خرج من بيته مبكراً ، وذهب ليقف في المنطقة بانتظار مجيئها .. وكان يحمل بيده لفافة من الورق في داخلها شيء ..

واقبلت هي ..

وبدأت عيناه الجائعتان الممتلئتان بالرغبة والشوق تشقان له الطريق نحو عينيها الساهمتين عن الدنيا ..

ورأته ، فتجاهلته في اللحظة التي التقت فيها نظراتها بعينيه ، ووقفت في المنطقة بانتظار ان يقبل الباص لتصعد فيه ..

وفي الباص ، جلس في مكان قريب من المكان الذي جلست هي فيه ، وعاد الى تأملها من خلال الزجاجة الأمامية التي تفصل مابين سائق الباص والناس الذين فيه .. تأمل وجهها .. تأمله قطعة قطعة .. انفها ، فمها ، عينيها ، حاجبيها .. وكان يقارن كل قطعة في وجهها بالتي في وجه تلك الغادرة ..

وتضايقت في مكانها منه ..

كانت كلما رفعت اليه عينيها ، تجد نظراته منصبة عليها لتلتهمها في كل مكان منها ، فتحاول ان تتحاشاه ، وتتحاشى نظراته الجائعة ، العربيدة ، فتحمل عينيها المتعبتين عنه بان تديرهما الى النافذة الجانبية المطلة على الطريق لتبحث بهما عن اي شيء قد يستطيع ان يبدد كل تلك المخاوف عن نفسها ..

ثم ، لا تستطيع ..

لا تجد اي شيء يستطيع ان يبدد مخاوفها ، ولا تلك الحفنة من الهواجس المضطربة التي تركبها ، وتعود اليه ..

وحين اوشك الباص ان يصل الى المنطقة التي ستنزل فيها ، لم ينتظر هو .. بل سبقها الى ترك مكانه ، ونزل من الباص بعد وقوفه من غير ان يلتفت اليها ..

ووقف في المنطقة بانتظار نزولها هي الأخرى من الباص ..

ونزلت ، فلمحته بطرف عينيها وهو يقف امامها بالمنطقة ، فواصلت سيرها ونفسها تغرق في بحر من المخاوف ..

ولحق بها ، ولفافة الورق في يده ..

وانتبهت على حركة اقدامه وهي تتبعها فتضايقت .. ثم ، غضبت قليلا .. واخذ الغضب يشتعل في اعصابها المنهارة ليثيرها اكثر ..

وغلت في داخلها ثورة وهي تستمع الى وقع خطواته الثقيلة تدك الارض بعنف ، فاحست بكل شيء فيها يتمرد عليها .. واصبحت لاتستطيع ان تفكر الا بالطريقة التي قد تستطيع بها ان ترده على اعقابه لتوقفه عند حـده ..

وكانت لاتزال وقع خطواته تعلومن حولها .. وتعلو .. وتعلو.. كأنها تريد ان تشق لصاحبها الطريق اليها فتسحقها ، تخففت من سيرها .. لم تستطع ان تحتمل كل تلك الانفعالات التى ابتدأت تخيفها الى حد رهيب ، فارادت ان تضع لهـا حداً فاصلا .. وان تضع له هو الآخر ماتستطيع به ان توقفه عند حده من العبث ..

ووقفت في مكانها بانتظاره ..

واقبل هو ..

ورفع رأسه اليها حين اوشك ان يبلغها ، ورشقها بنظرة خاطفة ، واراد ان يتعداها ويخلفها وراءه ، فنادته بصوت عال وكل اوصالها ترتعد في داخلها من الغضب عليه قبل الخوف منه ..

— انت .. انت ..

التفت بلا مبالاة اليها ، ثم دار حول نفسه نصف دورة بطيئـة ، كأنه كان يريد ان يشاركها في البحث عن الشخص الذي تناديه ، وحين لم يجد غيره في الشارع ، تقدم منها ببطء وفوق شفتيه ترقد شبه ابتسامـة ذابلة لاتبشر بالخير ابداً ..

واستدارت هي الى كل الاتجاهات من الشارع لتبحث في كل مكان منها عن اي شخص كان لعلها قد تستعين به في الوقت الذي قد تحتاج فيه الى من يعينها عليه ، وحين لم تجد اي انسان في المكان الذي هي فيه ، استجمعت كل شجاعتها مرة واحدة ، وصاحت به :

— ماذا تريد مني ! .. انت .. ماذا تريد ! ..

تردد قليلا ، ثم اجابها بمنتهى البرود وهو يتفحصها بلين ، وبغرابة ، ويبتسم لها بشحوب :

— هل تتكلمين معي يا آنسة ! ..

عادت لتصيح به وكل جسدها يختض من الغضب :

— ماذا تريد مني وانت تلاحقني من مكان الى مكان ! .. ماذا تريد ! ..

قال :

— لاشيء .. لكن ، كيف استنتجت باني الآحمق انت بالذات يا آنسة ! ..

قالت ولا تزال النار تلتهم في اعماقها المزيد من الغضب لتلفظه في وجهه كالحمم :

— انت وقح جداً ..

رد بأدب كبير وهو يلوي شفتيه بامتعاض وكأنه يأسف ان يجدها تتلفظ بمثل تلك الألفاظ الغير مؤدبة :

— اشكرك .. وكنت اود ان اسألك ، ماالذي اوحى لك باني الآحمق انت بالذات ! ..

— طريقتك السافلة هذه .. ملاحقتك لي من مكان الى مكان .. نظراتك لي في الباص .. تصرفاتك ..

— اية تصرفات هذه يا آنسة ! .. ايـــة تصرفات ! . وانت واهمة حتماً ، ولعلك مغرورة بنفسك ، وتتخيلين كل شاب قد يصادفك في الطريق من انه يلاحقك ..

ارادت ان ترد عليه ، لكنه لم يستمع اليها ، وتركها واقفة في مكانها ، وتابع طريقه الى المحل الذي تشتغل هي فيه ..

ودخل المحل وبيده لفافة الورق ..

كانت في داخل لفافة الورق بدلة ، وبضعة قمصان ، ففرشها في المكان المعد لأستلام وتسليم الملابس ، وانتظر .. كان يستطيع ان يقدر بانها قد تدخل الى المحل في كل لحظة مقبلة ، لذلك .. وقف قرب الحاجز الذي يفصل مابين مدخل العمل وبين المكان الذي يقف فيه الزبائن وقـــد ادار وجهه عن الباب ..

ودخلت ..

وفوجئت وهي ترى البدلة والقمصان مفروشة امامها ، فارتبكت .. واحتارت في الطريقة التي ستتصرف بها معه بعد تلك المشادة العنيفة التي حدثت بينهما منذ قليل في الشارع ..

وادار هو رأسه الى مدخل المحل ليرى الوافد الجديد ، وكأنه لم يكن ليدري بانها تقف من خلفه ..

ورآهـــا ..

لم تقدر عيناها ان تخفي عنها شدة اضطرابهـــا ، فحولتهما بسرعة عن عينيه ، وتابعت سيرها ببطء لتدخل الى ماوراء الحاجز ، وسألته من غير ان تنظر اليه وكل شيء فيها يغرق في الحياء :

— اية خدمة ؟ ..

عاجلها في هدوء وهو يكور شفتيه بامتعاض :

— لو سمحت ان تعطيني ايصالا بهذه الملابس يا آنسة ..

ازداد ارتباكها ، وحاولت ان تتناسى الذي حدث لها معه في الطريق .. حاولت ، ولم تستطع ، ثم فكرت ان تعتذر له عن سوء فهمها له .. لكنها ، في اللحظة الأخيرة ، تراجعت ، ولم تقل اي شيء ، واستلمت منه الملابس بصمت ، ثم سلمته الايصال بالأستلام من دون ان ترفع عينيها اليه ..

وخرج ..

وعاد من نفس الطريق الذي اقبل منه وفوق شفتيه تهتز ابتسامته العريضة مبشرة صاحبها بالنصر .

•

وانقطع بضعة ايام عن رؤيتها ..

كان يريد ان يدع كل شيء يسير وفقاً للخطة التي رسمها له خياله المجـــرب ..

و ..

في اليوم الرابع ، ادار رقم تلفون المحل الذي تشتغل فيه ، فرفعت هي السماعة ، فعرفها في الحال من صوتها الناعس ، الرقيق ، وسألها ببرود وقلبه يضطرب بعنف بين الأضلع :

— يا آنسة .. هشام يكلمك ، ويسألك .. هل انتهت الملابس التي سلمها لك منذ ايام ! ..

لم تعرفه بالأسم ، وتساءلت :

— اي هشام من فضلك ! .. لو سمحت فاقرأ لي رقم الأيصال ..

قرأ لها الرقم ، ثم مضت لحظات بطيئة من الصمت عليهما ، وعادت لتقول له وقد تذكرته تماماً :

— اهلا وسهلا ..

كانت في صوتها حشرجة ناعمة .. كأنها كانت تريد ان تعتذر له بصوتها قبل ان تعتذر له بالكلمات عن سوء ظنها به منذ ايام ، فعـــاد ليسألها بجفاء وكأن لا وقت لديه ليضيعه في الرد على تحيتها :

– هل انتهت البدلة والقمصان من فضلك ؟ . .

ردت وقد صدمتها كلماته بعنف :

– تستطيع ان تأتي في اي وقت لأستلامها يأستاذ . .

– اشكرك . .

قالها بسرعة ، ثم اغلق التلفون في وجهها .

●

وذهب اليها في اليوم التالي . .

ذهب من طريق آخر هذه المرة . .

خطته كانت تقتضي ان يذهب من طريق آخر ، وان لايلتقي بها في المنطقة ، وان لايصعد في نفس الباص الذي ستصعد هي اليه . . واخذ معه بدلة اخرى ليضعها رهينة في المحل الذي تشتغل هي فيـــه ليستطيع بواسطتها ان يعود اليها مرة اخرى . .

ودخل الى المحل . .

رفعت رأسها اليه . .

ورأته . .

وارتعشت اوصالها كلها لحظة ان التقت عيناها بعينيه الحـادتين ، حاولت ان تمالك اعصابها لتبدو امامه وكأن ليس هنالك مايجعلها تضطرب للاشيء ، فكانت اضعف من ان تستطيع ان تسيطر على كل تلك الأنفعالات التي اخذت تغمر الجسد لتجعل كل قطعة فيه تغرق في بحر من القلق . .

وابتسمت له بضيق . . حاولت ان تعبر له عن اسفهـا بنصف ابتسامة بلهاء ، وانتظرت منه ان يرد لها ابتسامتها بالمثل ، لكنه لم يفعل

اي شيء . . وكل الذي فعله هو ان اخرج من جيبه الأيصال ووضعه امامها في المكان الذي تسلم منه الملابس . .

وانتظر ان تسلمه الملابس . .

فضايقها صمته بقدر ما جرحها تجاهله لها ، ولم تقدر ان تصبر اكثر على ما كان ينفعل في داخلها ، فرفعت اليه عينيها المتعبتين بتخاذل شديد ، وقالت له بصوت واطيء وانفاسها تذوب في صدرها من الحياء :

— اردت ان اعتذر لك عما حدث لي معك منذ ايام . .

تأملها بمنتهى الحذر ، وتمتم بلا مبالاة وهو يبعد نظراته عنها :

— لاشيء . . وانسي الذي حدث يا آنسة . .

قالت وهي تسحب عينيها منه بلين :

— اني آسفة جداً . .

قال بنفس اسفها :

— ماذا تريدين مني ان اقول ! . .

— لاشيء . . فقط ارجو ان تعذرني للذي حدث . .

فكر بسرعة وهو يرشقها بنظرة خاطفة . . لقد ابتدأ كل شيء يأخذ الطريق الذي رسمه له ، ولم يبق الا القليل . . ثم قال وعيناه معلقتان امامه في وجهها :

— تصوري يا آنسة . . تصوري ، اني لم اعد اذهب الى منطقة السيارات منذ ذلك اليوم الذي ثرت فيه بوجهي ، وقررت ان ابتعد عن المنطقة نهائياً لئلا يصادف وجودك فيها فيقع مالا اتمنى وقوعه . .

تساءلت بحزن خفيف :

— لماذا ! . .

— اخاف ان تساورك الظنون ايضاً في امري لو رأيتني اقف في

المنطقة .. واني اخاف جداً من غضب النساء ..

ابتسمت له قليلا، وسألته كأنها تبادله مزاحه :

— كل النساء ! ..

قال وهو يتنهد ببطء :

— ان هنالك صنفاً من النساء اللواتي تثيرهن اوهى الشكوك فينفجرن كالبركان الهائج في لحظة ليحطمن كل شيء قد يعترض طريقهن .. وان هذا الصنف من النساء خطر كما ترين ..

تساءلت بمرح اكثر وقد ابتدأت تتناسى الذي كان قد حدث لها معه :

— وانا ! .. من اي صنف يا ترى ! ..

اجابها وهو يرد لها ابتسامتها باكبر منها :

— انت من الصنف الذي ذكرته .. وانه الصنف الذي يخيفني جداً .. واتحاشاه دائماً ..

ضحكت بنعومة، وقالت وهي تبتلع انفاسها برفق :

— اني لست منهن قطعاً، ولعلني لم استطع ان افسر سبب وجودك جيداً .. ربما كنت ساعتها اعيش في حالة من القلق لحدث الذي حدث ..

قال كالمعاتب :

— وما ذنبي انا في حكاية قلقك يا آنسة ! ..

— ربما كنت احتاج الى اي شيء آخر ليزيدني قلقاً على قلق .. واتيت انت، فكان ما كان ..

— ربما .. لكن الذي اتمناه ان لاتتكرر المأساة مع غيري ..

ابتسمت له، وردت :

— لا اعتقد انها ستكرر ابداً .. لا معك ولا مع غيرك ..

قال وعيناه تدوران في فلك عينيها بسرعة :

— وهذا يعني اني سأستطيع منذ الغد ان اذهب من نفس الطريق الذي تذهبين انت منه .. ام اني لا استطيع ! ..

— تستطيع بالطبع ..

— و .. لن يحدث لي مثل الذي حدث منذ ايام ! .. هل استطيع ان اعتمد ! ..

— اعتمد ..

ودعها ، وخرج بعد ان سلمها بدلته الجديدة واستلم منها بدلته القديمة والقمصان .

●

ماذا تبقى له ! ..

فكر وهو في طريقه الى بيته ، واستعرض في خياله صور الفتيات اللواتي عرفهن من قبلها .. استعرضهن واحدة واحدة ..

الى اي صنف من الفتيات يمكنه ان يصنفها ! ..

واحتارت في الرأس الف فكرة مهزوزة ..

كان يرى في عينيها اكثر من نداء صارخ الى الحب ، ثم سرعان ماكانت تتبدد تلك الرؤيا الضبابية التي كانت ترسمها له مخيلته بايعاز من الرغبة التي تذيب له كل افكاره في شهواته ، فيحتار ! .. هل يصدق الرغبة ، حبيسة الجسد الجائع ، المتعطش الى الأنتقام من كل انثى ، ام يصدق تصرفاتها الهادئة ، الموزونة ، التي تجعلها تبدو له وكأنها تصرفات فتاة قد خبرتها الحياة وخلقتها لأي شيء آخر الا الحب ! ..

و . .

في اليوم التالي، خرج من بيته، وذهب ليقف في انتظارها بمنطقة السيارات . .

وانتظرها حتى اقبلت . .

ورأته من بعيد . .

وابتسمت له . . لمح بطرف عينه شبه ابتسامة ترفرف فوق شفتيها، فحاول هو ايضاً ان يبتسم لها ليرد على ابتسامتها بالمثل . .

لكنه تردد، ولم يفعل . . فقط ابقى نظراته الحادة معلقة في وجهها كأنه يحرسها بها في المكان الذي تسير فيه من اعين الناس . .

وبلغته . .

ورفعت رأسها اليه، وتمتمت له بحياء خفيف وهي تتلفت الى كل الجهات المحيطة بها لتبحث في وجوه الناس الذين معها في المنطقة عمن يعرفها منهم :

— صباح الخير . .

رد بصوت واطيء، ومهذب جداً وهو يبتسم لها بهدوء :

— صباح الخير يا آنسة . .

واحس ببعض القلق يتسرب الى نفسه لقلقها . . احس كذلك، ان وقوفه معها في هذا المكان بالذات قد يسبب لها بعض الحرج فيما لو رآها احد معارفها، فحاول ان يسحب نفسه من جانبها ليبتعد قليلا عنها حتى يأتي الباص، لكنها، شعرت في الحال على ما كان يدور في رأسه من الظنون، فتساءلت ببعض الخوف وهي تستطلع بعينيها عن الباص ولا تجد له اي اثر :

— لم يأت الباص ! . .

اجابها بشيء من القلق وهو ينظر في الاتجاه الذي تنظر هي فيه :

– حظنا سيء كما يبدو . .

ثم سكت . .

كان القلق ينخر في ذاته بقسوة . . قلقه عليها قبل نفسه ، واستغرب . . لماذا يهتم بها كل هذا الاهتمام وهو لم يعتد ان يهتم بعشرات من الفتيات غيرها من قبلها ! . . واستغرب اكثر . . لماذا يهمه ان لا يسبب لها بعض الحرج وهو قد سبب لغيرها من المواقف الحرجة اكثر مما يسببه لها وقوفه معها في المنطقة ! . .

ماذا يهمه منها ! . . ماذا ! . . ماذا ! . .

واجاب وهو يكتم صوت الشيطان في الجسد : جسدها قبل اي شيء آخر . . وانها تهمه كجسد قد زرعته الاقدار في دربه ليثأر بها من تلك الغادرة التي باعته بأرخص ثمن ثم ذهبت لتتزوج من الرجل الآخر قبل ان تهمه كفتاة لها سمعة ويخاف ان تلوثها الشبهات فيما لو ان اعين الناس تضبطها وهي معه ، لذلك . . فان من واجبه قبل اي شيء آخر ان يجعلها تطمئن تماماً اليه . . وتطمئن الى وقوفها معه في اي مكان كان من الدنيا . . وان مثل هذه الهواجس قد تبعدها عنه ، وان من اهم الأشيـــاء التي يجب ان يزرعها في نفسها ، وفي مثل هذه الظروف ، هي « الطمأنينـة » ، ثم تأتي من بعدها « القوة » . . ان يجعلها تشعر بانها وهي معه قد تستطيع ان تطمئن الى ان لا شيء قد يحدث لها ، وانها وهي معه قد اصبحت قوية . . اقوى بكثير مما تكون عليه وهي بعيدة عنه . . وعندما سيستطيع ان يجعلها تأمن الى المكان الذي تكون فيه وهي معه ، وعندما سيستطيع ان يجعلها لا تخاف من اي انسان كان وهي معه . . حينئذ ، سيكون كل شيء قد سار في الطريق الذي رسمه له . .

هكذا علمته تجاربه السابقة مع غيرها من الفتيات ..

وكان ينجح دائماً ..

واقبل الباص ..

وهتفت به والفرحة تطفر فوق شفتيها لترسم عليهما ابتسامة رقيقة:

— جاء الباص ..

تمتم وهو يشعر ببعض الطمأنينة لأرتياحها من مجيء الباص :

— الحمد لله .. واستعدي لنصعد اليه قبل ان يسبقنا كل هـذا الرهط من الناس ..

وتوقف الباص ، فهرعت اليه ، ولحق بها ، فصعدت اليه وهي تتدافع مع الناس لتشق لها وله الطريق الى داخل الباص ..

وجلست ..

وجلس لجانبها في الباص ..

احس وهو يشاركها المكان بانه قد خطا خطوة واسعة اليها ..

واقبل « الجابي » ، فدفع له ثمن تذكرتين .. له ولها ، وارادت ان تعتذر له عن قبول التذكرة ، فأحس هو بما كان يجول في نفسها ، فعاجلها في شبه اعتذار :

— يجب ان تعذريني يا آنسة ، فليس من اللائق ان اجعلك تدفعين وانت معي ..

قالت بهمس خافت :

— اشكرك ..

قال وهو يبتسم لها بهدوء :

— انا ايضاً اشكرك لأنك لم تصرخي في وجهي هذه المرة ..

كتمت ابتسامة خفيفة بدت ملامحها على شفتيها ، وردت :

— هل تريدني ان اعتذر لك ايضاً ؟ ..

— كلا .. فقط عديني ان لايحدث الذي حدث لي معك منذ ايام مرة اخرى ..

اجابته بحياء وهي تعيد نظراتها المضطربة الى عينيه وتبتسم له :

— اعدك ..

ووصلت الى مكان عملها ..

ودعته ، وذهبت .

●

و ..

رآها في اليوم التالي ..

وفي اليوم الذي تلاه ..

كان يراها في كل يوم ، فيقف معها في منطقة السيارات ، ويصعد معها الى الباص ، ويوصلها الى مكان عملها ، ويكمل هو طريقه ..

واعتادت ان تراه في كل يوم ..

اصبحت هي الأخرى تنتظر مجيئه الى منطقة السيارات لحظة قبل لحظة ..

ثم ، اخذ يتأخر قليلا عنها في بعض الأيام . كان يتقصد ان يتأخر ، ثم يذهب ، فيجدها تقف في انتظاره وهي على احر من الجمر .. كان يمر اكثر من باص من غير ان تصعد اليه ، وتدور بنظراتها في ارجاء المكان بحثاً عنه ، وتساورها الظنون من سبب تأخيره ، ويذبحها القلق عليه ..

و ..

تلمحه من بعيد وهو يعدو نحوها ، فتنقشع في لحظة سحابة الضيق

من فوق وجهها ، وتبتسم له بحرارة ، وبشوق ، وبارتياح ، ثم تسأله بحزم ، وكأنها مسؤولة عنه امام نفسها وتريد ان تتأكد من ان هنالك سبباً مهما جعله يتأخر عن موعده بها :

— انتظرتك حتى كدت ان افقد الأمل من مجيئك .. اين كنت ! .

ويجيبها بلهفة وهو يبتلع انفاس التعب بسرعة :

— اعذريني يانجلاء .. والذنب ليس ذنبي ..

تعود ، فتسأله بنفس الحزم :

— ذنب من اذن ! .. قل لي .. ذنب من ! ..

يقول وهو يتأملها بشوق كبير ، وبرغبة عنيفة :

— لم توقظني اختي من النوم ، وذهبت الى مدرستها وتركتني في فراشي ، فتأخرت ..

ثم يبتسم لها بحرارة . .

وترد له ابتسامته بأحرمنها ، وكأنها قد قبلت عذره وصفحت عنه . .

و ..

تصل الى مكان عملها ، فتودعه ، وتغادر الباص ..

ويتصل بها في التلفون بعد ان يصل الى مكانه ..

ويسألها بلهفة وهو يستمع الى دقات قلبها في التلفون :

— نجلاء . . ماذا تفعلين ؟ . .

وتضحك له في التلفون ، وتبتلع انفاسها بهدوء ، وتجيب :

— اين انت ياهشام ! . .

— في دائرتي ، وان اعمالي كثيرة ، ومرهقة . . لكنهـــا ابداً لم تستطع ان تنسيني اعز الناس الى قلبي ..

وتضطرب كل جارحة فيها من الحياء .. وتتمنى لو انه يستطيع ان

يسبق صوته عبر الأسلاك ليكون على مقربة منها ليمنحها المزيد من الصبر، والقوة، والطمأنينة، ثم ترد عليه بحرارة:

— لاتبالغ! ..

ويصرخ في التلفون:

— اللعنة على الذي يبالغ ..

— بماذا تفكر اذن! .. قل لي بصراحة! ..

— بك .. واتمنى ان اراك .. مارأيك بهذا المساء الرائع ..

وترد عليه واناملها ترتعش من الشوق اليه وهي مقبضة على السماعة:

— لن استطيع ان اراك في هذا المساء ..

ثم تسكت قليلا .. وهي تعلم مسبقاً بانها ستراه في المساء ذاته .. وانها ستراه في كل مساء مقبل، لكنها فتاة .. وكأن من واجب اية فتاة كانت ان تتردد في مثل هذه الأمور قبل ان تبدي رأيها فيها .. فيسألها بتوسل:

— وكيف سأستطيع ان اصبر على البعد حتى الغد يانجلاء! . كيف سأستطيع ان اعيش كل هذه الساعات القاتلة من غير ان اراك فيها! .. كيف! ..

وترد عليه بدلال:

— اصبر .. فقط اصبر ..

ويصرخ ايضاً في التلفون كأنه يريدها ان تشفق عليه من حالة الجنون التي ستركبه لو انها ستمتنع عن رؤيته في المساء:

— اسمعي .. اني استطيع ان اصبر عن الأكل .. واستطيع ان اصبر عن النوم .. واستطيع ان اصبر عن اي شيء آخر، الا انت .. ولا تغضبيني .. ارجوك ..

وينفد صبره ، وتحس فيما بينها وبين نفسها من انه قد ابتدأ يتألم لترددها ، ويتعذب للبعد الذي يفصل مابينها وبينه .. تماما كما يعذبها هذا البعد ويدمرها هذا التردد ، فتقول له بعد تفكير قصير :

— لاتغضب .. ومادمت تصر ، فسأحاول ان اتحايل على امي واقول لها باني سأذهب لزيارة صديقة لي في المستشفى .. وسأراك .. و ..

تراه في المساء .

●

واحبته بعنف ..

اصبح بالنسبة اليها كل شيء في حياتها ..

واخذ خياله يملأ عليها كل مكان تكون فيه بالحب ، وصورته تشغل عليها كل احلامها ..

ولم تعد تخاف ان يراها الناس وهي معه .. بل اصبح وجوده معها قوة تضعها في وجه كل من كانت تخشاه لتصفعه به ، واصبح وجوده معها يغرقها في بحر لاحدود له من الطمأنينة .. اصبحت تسير معه في كل مكان لتباهي به كل من يعرفها ومن لايعرفها من الناس ..

كانت تشعر بانها من اقوى الفتيات حين يكون معها ، وتشعر بانها من اضعفهن حين يتركها ، لذلك .. كانت تريده ان يبقى معها دائماً ، وان لايتركها ابداً ليمنحها المزيد من القوة والأمان في الدنيا ..

اما بالنسبة اليه ..

فكان قد انتهى من وضع لمساته الأخيرة على قلبها ، واستطاع حتى ذلك

اليوم ان يقودها معه في الدرب الذي رسمه لها بمهارة وخبرة ليوقعها في الفخ الذي كان قد نصبه لها ..

ووقعت ..

استطاع ان يقدر بانها قد وقعت ..

وعادت نزعة الحقد في نفسه تنخر له ذاته لتحرضه على الانتقام ..

وعادت صورة تلك الغادرة تملأ عليه كل مكان تكون هي فيه معه .. ويزداد الحقد في اعماقه .. ويزداد كلما تعيد اليه الذكرى ايام الغدر التي عاشها في العذاب ..

واتصل بها في التلفون في المكان الذي تشتغل فيه ، فرفعت هي سماعة التلفون ، فسألها :

— ماذا تفعلين يا اعز الناس الى قلبي ..

ثم استسخف سؤاله لها ، لكنه كان يجب ان يبدأ هكذا ، ومن هنا ، ثم تدريجياً ، وشيئاً فشيئاً يصل معها الى الشيء الذي يريده منها ..

واجابته بحرارة وهي تهب سماعة التلفون كل انفاسها الدافئة لتلهب بها صدره :

— لا اعمل اي شيء .. وانما افكر ..

تساءل بلهفة وهو يحس بالشيء الذي في صدره يهب من غفوته لينفث في جسده المزيد من الجوع اليها :

— وبماذا تفكرين ياترى يااعز الناس الى قلبي ..

ضحكت لطريقته الجديدة التي كان يستعملها في الكلام معها ، ثم قالت وكأنها تريد ان تشعره بانها تكذب عليه في اشياء لاتجسر على البوح له بها :

— لا ادري ..

قال بسرعة وانامله ترتعش وهي مقبضة على سماعة التلفون :

— اما انا فلاشيء يشغلني في كل هذه الدنيا الا . .

وسكت ، فسألته وقد اخذ قلبها يخفق في صدرها من الشوق اليه :

— الا ماذا ! . .

— الا انت . . واريد ان اراك . .

قالت وانفاسها تتهدج في صدرها من ضربات القلب عليه :

— هشام . .

قاطعها بسرعة وهو يستعد في كل لحظة للانتهاء من شيء قد اخذ يقلقه الى حد رهيب :

— واريد ان اراك في هذه الليلة . .

تساءلت باضطراب :

— في الليل ! . . يا الهي ، وانت تعرف بأني لا استطيع يا هشام ! . .

قاطعها ايضاً وكله امل من انه سيستطيع اخيراً ان يقنعها فتقبل :

— لو قلت لك من اجل هشام . . من اجلي انا . .

— هشام . . اني مستعدة ان افعل اي شيء تطلبه انت مني . . لكنك يجب ان تقدر موقفي فتعذرني . .

— حاولي . . ولك معي مفاجئة ستسرك حتماً . .

— لكن ، ماذا سأقول لهم في البيت ! . .

قال بالحاح شديد وقد بدأ صبره ينفد :

— لا ادري . . وتصرفي انت يا نجلاء . .

قالت بعد ان لم تجد لكلماتها اي صدى في نفسه :

— سأحاول . . لكنك لم تقل لي ماهي المفاجئة ! . .

قال وقد اقتنع تماماً من انها ستأتي :

— بل سأتركها للحظة المناسبة . .

قالت :

– سأنتظر اذن لأرى ..

ودعها ، وعاد ليرسم بقية الخطة التي ابتدأت رغبته تنسج له خيوطها في خياله بشكل رهيب .

●

والتقى بها في الليل ..

وكان في اوج قلقه .. ورأسه يغرق بالأفكار التي تتخبط فيه بلا هوادة .. ونزعة الحقد في صراع دائم مع اعصابه المنهارة .. والرغبة الكبيرة تتراقص امامه .. وتستهزىء به .. وتسخر من فحولته .. ومن .. ومن ..

والتفتت اليه ، وسألته بعد ان طال بهما الصمت :

– الى اين ! .. لم تقل لي الى اين سنذهب ! ..

التفت اليها ، رشقها بنظرة خرساء طويلة ، وتمتم :

– ستعرفين كل شيء في الوقت المناسب ..

قالت وهي تبتسم له بحب كبير :

– هل هو سر ! ..

– كلا ..

تساءلت بقليل من التذمر وهي تبتسم له بحرارة ..

– وهل هنالك انسب من الآن ! ..

قال وهو يتأملها بشوق كبير :

– نجلاء .. لقد ابتدأت احس بالضيق من هذه الشوارع التي

نتسكع فيها وليس لنا غيرها .. واني اريد ان ابتعد عن هؤلاء الناس حين اكون معك ..

لم تجبه . . كانت تنتظر منه ان يكمل الشيء الذي يريدها ان تسمعه ، فواصل بعد لحظة وهو يبتلع ريقه بسرعة :

— وانت ! . . الا يخيفك وجودك معي في كل مكان والناس من حولنا كأنهم الشياطين ! . .

اجابته بحيرة ولا يزال الغموض يظلل عليها مايريد ان يفصح به لها :

— بالطبع . . لكني مستعدة دائماً ان اضحي بكل شيء من اجل ان اراك . .

وخزته كلماتها في القلب قليلا ، فقال لها وهو يعض على طرف لسانه باسنانه :

— لكني ، انا بالذات لا اريد ان ارى اي انسان يتكلم عنك بسوء . .

ثم تابع وهو يتطلع الى وجهها برجاء كبير :

— لذلك ، فقد استطعت ان اجد لنا المكان الذي سنلتقي فيه ببعض من غير ان يرانا الناس فنكون في مأمن عنهم . .

ارتعدت فرائصها مرة واحدة ، فأبطأت قليلا من سيرها ، ثم رفعت رأسها اليه ، فأحست بقشعريرة حادة تصعق جسدها ، واحمرت وجنتاها من الخوف ، وغاص قلبها في الاعماق . .

وارادت ان تتكلم . .

بذلت المستحيل لترد على كلماته ، لكنه لم يمنحها الفرصة للكلام ، وسألها :

— مالك ! . .

— هل من الضروري ان ! . .

قاطعها بسرعة ليزيح عن نفسها مخاوفها :

— انت خائفة . . الست كذلك ! . .

— قليلا ..

— جداً .. خائفة جداً .. وخائفة مني بالذات ، ومادمت خائفة مني فاني لن ارغمك على الذهاب معي ، ولو شئت فسأعيدك الى البيت ..

تأملت كلماته الأخيرة بارتياح كبير ..

الأمر بيدها اذن .. ولو شاءت فسيعيدها الى بيتها ، وانه لن يرغمها على الذهاب معه .. لن يرغمها ..

وتسربت نسمات ضئيلة من الطمأنينة الى نفسها المشبعة بالخوف ، واخذت تلك المخاوف تنزاح ببطء من عقلها الذي كان يرسم لها الأشياء الصغيرة على انها اكبر من ان تستطيع ان تتخيلها ، فردت عليه :

— لست خائفة منك .. وانما من الناس ..

— اللعنة عليهم .. ماذا يهمك منهم وانت معي ! ..

— اخاف ان يروني وانا معك .. وانت تعرف باني لا أحس بالأمان في هذه الدنيا الا حين اكون معك ..

رد بسرعة وهو يمد يده الى يدها ويسحبها معه لمواصلة الطريق :

— تعالي اذن .. تعالي ..

وسارت معه ..

والهواجس الرهيبة تعاود عقلها الذي اخذ ينشط في كل لحظة ليرسم لها الطريق على انه اخطر بكثير من ان تستطيع ان تقدر وعورته .. وافكارها المشتتة في كل صوب من الدنيا لاتعرف كيف تجعلها تستقر لتنتظم في رأسها المضطرب .. وقلبها يضرب على صدرها بمنتهى العنف ، كأنه ينبهها الى وعورة الطريق الذي تسير فيه .. و .. و ..

وكانت هنالك اكثر من قوة تعارض كل تلك الهواجس في العقل. .

واكثر من قوة كانت تصارع افكارها التي تذوب في القلق والخوف لتمنحها الأمان وهي معه ..

واكثر من قوة كانت تحاول ان توقف من حدة ضربات القلب على الصدر لتجعله يهدأ قليلا . .

ووصلا الى احدى البنايات . .

والتفت اليها ، نظر في وجهها للحظة ، ثم همس لها وهو يحاول ان يبذل كل ما في وسعه ليبدو امامها في حالته الطبيعية التي اعتادتها فيه من قبل :

— تعالي . .

لم تقل اي شيء ، وتبعته ، والخوف يكبر في نفسها ليلتهم كل ثقتها فيه . .

واوقفها عند باب احدى الشقق ، وعاد فنظر اليها برفق وفوق شفتيه تلوح شبه ابتسامة شاحبة ، ومد يده الى جيبه ليبحث فيه عن المفتاح ، ووجده ، فاخرجه ، واداره في الباب ، ففتحه ، وتمتم ، لها بصوت مضطرب يخنقه الخفوت :

— تفضلي . .

ودخلت ، ولم تقل اي شيء . .

ودخل من بعدها . .

ثم اطبق الباب من خلفه . .

فرفعت اليه عينيها ، وابتسمت له بخوف ، كأنها بابتسامتها تلك كانت تريدان تشعره بانها ليست خائفة منه مادامت هي معه ، فرد لها ابتسامتها بشفتيه ، وهتف بها وهو يسحبها من يدها اليه :

— تعالي . .

اتت اليه ، وابقت يدها في يده بعض الوقت ، ثم عادت فسحبتها منه ببطء وسارت من امامه لتجلس على احدى الأرائك القريبة منها وقلبها

يخفق في صدرها من الرهبة لوجودها في مكان غريب لم تألفه من قبل . .

فعاد اليها ، وقال لها وهو يأخذ يدها بيده ليوقفها معه :

– نجلاء . .

ارتخت نظراتها المضطربة وهي تلتقي بعينيه الجائعتين ، المتقدتين بالنار ، واضطربت انفاسها وهي تحس بانفاسه الحارة تلفح وجهها الغارق في بحر من الدماء . .

وسحبها اليه قليلا . .

وسحبها اكثر . . واكثر . .

واحتواها بين ذراعيه ليطويها بهما الى صدره ، فلم تفكر ان تقاوم . . لم تفكر حتى ان تسحب نفسها منه . . لم تفكر . .

وابقت نفسها في صدره . .

فمد يداً مرتخية الى وجهها الذي تلهبه الدماء ليرفعه اليـه ، فالتقت نظراتها بعينيه ، فتمتم لها :

– اني احبك يانجلاء . . احبك . .

وقرب شفتيه ببطء من شفتيها .. ثم قربهما اكثر حتى مسها برفق ، فأحست كأن تيارا من الكهرباء يصعق كل جسدها فيطرد عنها في لحظـة كل مخاوفها وظنونها ، ويقتل في نفسها كل تلك الأنفعالات الرهيبة فيبددها . .

ثم ..

اغار بشفتيه على شفتيها وهو يحس بالجوع الشديد ينخر في جسده ليذيبه في الحرمان ..

وقبلته هي الأخرى ..

احست بنفسها تذوب وهي بين شفتيه الجائعتين اليها ، فتمنت لو انها تبقي شفتيها ابد الدهر في شفتيه لتحيا ماتبقى لها من عمر في الجنة . .

وضاعت قبلاته في شفتيها . .

وضاعت قبلاتها في شفتيه . .

ثم . .

مد يده الى صدرها . .

شبعت الشفاه من القبل ، وتعبت . . وكان لا يزال يحس بالجوع الشديد ينخر في جسده ليذيبه في الحرمان . .

وصحت من غفوتها اللذيذة على حركة انامله السريعة وهي تفك ازرار ثوبها ، فسحبت نفسها قليلا من بين ذراعيه وكأنها تسحبها من النار التي تتمنى لو انها تعيش كل ايام البرد فيها ثم تخاف في الوقت ذاته لو انها ابقتها اكثر فيها فلربما ستحرقها تلك النار . .

وتمتمت وهي تسحب شفتيها من فوق شفتيه :

— كلا ! . .

سألها وهو يعود الى شفتيها ليطوي عليهما شفتيه :

— حبيبتي . .

قالت في شبه توسل وهي تحاول ان تتملص من بين ذراعيه القويتين اللتين تشدانها بكل قوة صاحبهما اليه :

— هشام . . لقد تأخرت ، ويجب ان اعود . .

لم يجبها ، وسحبها اليه بكل قوته . .

وانهال عليها بقبلاته المحمومة ليشبع في ذاته الرغبة التي كانت قد بلغت اوج نشاطها ، فقالت له وهي تحاول ان تبعد وجهها عن شفتيه ولا تستطيع :

— اريد ان اعود ياهشام . .

لم يسمعها ايضاً . .

كل شيء فيه كان يجن . . ويشتد جنونه . . ويشتد ، والرغبة في الجسد تنشط اكثر لتحرضه على الأنتقام السريع . . وصورة تلك الغادرة تتجلى امام عينيه لتستهزىء به . . وتسخر من فحولته . . وتتفجر في الجسد المجنون شتى الأعاصير لتدمر كل شيء قد يعترض طريقها . .

ورفعها بين يديه ليحملها معه الى الداخل ، فعادت لتتوسل به :

— هشام . . هشام ، دعني . . ارجوك ، دعني اعود . .

واستطاعت ان تسحب نفسها قليلا منه ، فعاد اليها بعد لحظة استرد فيها انفاسه التي كانت تلهث في صدره المضطرب ، وسحبها من يدها اليه ، فدفعته بكل قوتها عنها ، فتساءل وهو يتطلع اليها بجنون :

— مالك ! . .

التقطت انفاسها بعذاب ، وقالت :

— اريد ان اعود . .

قال وهو يدنو منها قليلا :

— واني احبك ! . . واريدك ! . .

ثم مد يده اليها ، وامسك بثوبها . . وسحبها بكل جنونه اليه . . وتمزق ثوبها . .

فبكت . .

وتركته يعبث بانامله في صدرها بعد ان ضعفت مقاومتها له ويأست من كل محاولاتها معه ، ودموعها تغرق كل المرئيات من حولها . .

ونظر اليها . .

ورأى الدموع في عينيها ، فسألها وهو يسحب يده من صدرها :

— مالك ! . .

قالت وانفاسها تذوب في صدرها من الوجع :

— لاشيء . .

قال بتأثر :

— لكنك تبكين !. . .

قالت :

— اني ابكي على الدنيا التي لم تبق لي فيها اي شيء الا ودمرته . . وكنت انت املي الوحيد فيهـــا ، ثم اكتشفت بانك لست الا كغيرك . . وا اسفـــاه ! . .

احس بكلماتها تنغرز كالنبال القاتلة في روحه فتدميها ، وبدموعهـا الحارة وهي تتساقط على الأرض وكأنها طعنات حادة من خنجر مسموم تصوب الى قلبه فتطعنه حتى الموت . .

وعادت لتقول :

— من قبل ان اعرفك كنت قد احببت احـد الشباب ، واوهمني بحبه . . رسم لي الحب على انه الطريق الوحيد الذي يقود الى الحيـاة ، فعبدته ، وبنيت على حبي له كل آمـالي . . ثم كان كغيره . . خـدعني ، فكرهته . . وكرهت في صورته كل رجل في الدنيا . .

وتنفست انفاسها بحرقة ، واستطردت وهي ترمقه بحزن :

— ويوم ان رأيتك انت واحببتك ، كنت اجـدك لاتشبههم في شيء . . كنت انقى من كل الرجال . . ثم ، في لحظة مجنونة ، انكشفت لي على ما انت عليه ، ووجدتك لا تختلف عن غيرك في شيء ! . .

كل كلمة من كلماتها كانت تمزقه الى الف قطعة ، وواصلت :

— كنت اثق فيك بعد ان عرفتك . . وكبرت الثقـة في نفسي حين احببتك . . وحين طلبت مني ان اذهب معك الى هنـا لم اجـد في الأمر مايمنع بالرغم من خوفي الشديد .. لم افكر ابداً باني سأذهب مع رجل الى

شقته .. وكل الذي كان يدور في عقلي هو اني سأكون مع هشام .. وان هشام لن يخدعني ابداً لانه يحبني .. وان حبه هذا سيحميني من كل اخطار الدنيا . . لم يخطر ببالي ابداً ان هشام نفسه يتمنى ان يذبحني! . .

لم يستطع ان يصبر اكثر على العذاب الذي يكتوي في داخله ، فصاح بها وهو يبتلع انفاسه بمرارة :

— كفى . . نجلاء . . كفى . .

سكتت في الحال . .

وتابع وهو يغمض عينيه كأنه كان يريد ان يبعد صورتها عن المكان الذي هي فيه :

— تعالي لأعيدك الى البيت . .

لم تجبه ، كما لم ينتظر هو ان يرى صدى كلماته فيها ، وسبقها الى باب الشقة ليفتحه لها . .

ولحقت به . .

وفي الطريق ، نادى على اول سيارة اجرة مرت من امامه ، وفتح لها الباب ، فصعدت ، وصعد معها ليوصلها الى بيتها . .

وخلال الطريق الى بيتها لم يقل لها اي شيء . .

وسكتت هي الأخرى . .

واوصلها الى اول شارع بيتها ، فنزلت من السيارة من غير ان تودعـه . .

وعادت الى بيتها . .

و . .

عاد الى بيته .

●

وتعذب ..

اشياء كثيرة كانت قد هبت من مرقدها لتصفع فيه رغبة الجسد في الأنتقام ، فأعادته الى انسانيته بعد عمر طويل كان يعيشه بلا قلب .. ولا احساس ..

هذه الفتاة كانت تختلف تماماً عن غيرها من اللواتي عرفهن في حياته بعد حكايته مع تلك الغادرة ..

بماذا كانت تختلف هذه عن غيرها ! .. بماذا ! ..

ساءل نفسه ، ولم يدر ..

واحس على دمعة ساخنة تنزف من احدى عينيه ، فمد يده الى كلتا العينين ليمسح بها الدموع الأخرى التي اخذت تشق له جفنيه بقسوة .. ثم ، لم يستطع ان يوقف زحف الدموع في عينيه ، فبكى ..

وتقلب في فراشه من الألم ..

كان يريد ان يدفن اوجاعه في اي مكان قد يسع كل تلك الأوجاع المتزاحمة في الجسد المنهار ..

وفكر : الى اي مدى كان يريدها .. وهل كان يحبها ، ام انه كان يريدها كجسد من اجل ان ينتقم بها من تلك الغادرة ليطفيء بها حقده ..

وحمل عينيه المرهقتين ليطوف بهما في الظلام الذي يملأ الغرفة ، كأنه كان يريد ان يبحث بهما عن شيء ما ، ثم عاد بهما ولا شيء فيهما الا الخيبة ، وتمتم بتمزق :

« اني اريدها .. واريدها دائماً .. والى الأبد ، واني اشتهي كل شيء فيها .. واحبها .. احبها واريدها . » ..

من الغباء ان يكذب على نفسه ليخدع عواطفه .. اما عن الرغبة في الأنتقام ، فان الحكاية لم تعد حكاية انتقام بقدر ما اصبحت عادة فيه ..

وازداد عذابه بنفسه .. وبأفكاره ..

كيف يستطيع ان يقلع عن هذه العادة التي اصبحت ملازمة له كظله ! .. كيف سيستطيع ان يشفي نفسه العليلة من هذا المرض ! .. وهل لو استطاع ان يشفى فسيستطيع ان ينسى ايام الغدر والخيانة ! .. ومتى سيلتئم جرحه العميق الذي كلما نزفت منه الدماء عادت اليه رغبته في الأنتقام من كل فتاة قد يصادفها في الطريق ! ..

وابتدأ يفكر بالطريقة التي سيستطيع بها ان يعالج نفسه من مرضها ..

و ..

اهتدى الى حل .. الى الدواء الذي سيعالج به الداء الذي في كيانه ..

وكان عليه ان يبعد نفسه قبل اي شيء آخر عن طريق كل فتاة ، وليس امامه الا ان يبدأ من هنا ، فهو يعلم بانه قد اصبح في حالة سيئة ، وشبه جنونية تجاه اية انثى قد يصادفها في الطريق .. وان اية انثى يراها في اي مكان فانه لا يرى فيها الا صورة طبق الأصل عن تلك الغادرة التي احبها ثم هجرته وذهبت لتحب غيره ..

لذلك ..

قرر ان يبدأ علاجه من هنا ..

و ..

ان يبدأ علاجه بها ..

●

وفي اليوم التالي ، لم يرها .. ولم يتصل بها بالرغم من ان الف رغبة عنيفة في النفس كانت تدفعه في كل لحظة الى رؤيتها ..

واستطاع ان يسيطر بقوة على كل رغباته ، وداس على قلبه باعصاب من حديد . .

ولم يذهب . .

وفي اليوم الثالث ، لم يرها . . ولم يتصل بها . .

واخذت مقاومته تضعف ، وتدريجياً تدريجياً ابتدأ ينهار تجاه قوة الأرادة ، لكنه . . استطاع ان يدوس على قلبه باعصاب منهارة تماماً . .

ولم يذهب ايضاً . .

و . . .

رن جرس التلفون ببيته في اليوم الرابع ..

وكانت هي ..

قالت له في الحال بعد ان سمعت صوته :

— هشام .. لماذا لم تأت ! ..

ارتبك .. وأحس كأن قوة خارقة ، وعنيفة ، ترفعه من النار الشديدة التي تلهب كل كيانه لتعيده في لحظة حنان كبيرة الى الجنة ..

ورد بتلعثم شديد ، وانفاسه الحارة تحرق له صدره :

— نجلاء .. اسمعيني ارجوك .. اني لا استحقك ، وصدقيني . . اني اعيش الآن في اتعس حالة من اجل ان انساك . .

صاحت بحزن عميق وانفاسها تتمزق في صدرها :

— كلا . . كلا .. لاتقل هذا ابداً ..

— اني لا استحقك .. وكدت ان اغدر بك منذ ايام .. اني لم اكن لأفكر فيك بقدر ماكنت اشتهيك كأنثى .. وهذه هي الحقيقة ..

— كلا .. وانت تحبني ، ولو لم تكن كذلك لما ترددت ان تأخذ اي شيء كنت تريده مني .. لكن حبك لي كان اكبر من ان تدنسه بالخطيئة . .

— كيف تسمين تصرفي معك بالحب ! . .

— واكثر من حب . . وان حبي لك قد كبر في قلبي من بعـــد اللحظة التي اعدتني فيها الى بيتي . .

— نجلاء . . افهميني ، ارجوك . . ان قصتي معك لم تكن قصة حب بقدر ما كانت حكاية انتقام . . كنت اريد ان انتقم بك لنفسي من فتاة كنت احبها من قبلك وغدرت بي . .

صاحت وهي تبكي بعنف :

— كلا . . انت تحبني . . وانا لا يمكن ان افهم الا هذا ، ولو لم تكن لتحبني لما ترددت في الأنتقام . . لكنك كنت تحبني . .

والتقطت انفاسها بسرعة ، واستطردت في شبه رجاء :

— واريد ان اراك . .

رد وهو يحس بقلبه يعاود النبض بالحب من جديد بعد ان اخذت الحياة تدب في عروقه :

— من الخير لنا ان لا نرى بعض الآن . .

صاحت بجنون وهي تتعلق بسماعة التلفون كأنها تخاف لو ان اي خلل قد يصيب التلفون فلربما سيؤدي ذلك الى ان لا تراه حتى الأبد :

— لا تقل هذا ياهشام ! . . واني سأقتل نفسي لو تبتعد عني . . وتأكد ، اني سأقتل نفسي لأتخلص من هـــذه الحياة التي لم يبق لي فيها ما يستحق ان اعيش من اجله . .

وبكت . .

ومد هو الآخر يده نحو عينيه ليزيل عنهما الدموع المحرقة . .

وعاد صوتها اليه ليعيده اليها :

— اريد ان اراك هذا اليوم ، فماذا تقول . .

— لا ادري . . واني اخشى ان لا استطيع . .

قالت بتحد، وقلبها يذوب في احشائها من العذاب :

— ستأتي .. قلبي يعلمني انك ستأتي، وسأنتظرك عند باب الشقة بعد ساعة ..

انتفضت انفاسه في صدره من الرهبة، وقال بتردد :

—كلا .. كلا .. اي مكان آخر غير الشقة ! ..

قالت :

— اني اريد ان اراك فيها، وارجوك ان تقبل ..

— اني لا استطيع .. ثقي، اني لا استطيع ..

— من اجلي انا ستستطيع . وسأنتظرك ..

ثم ..

اطبقت التلفون .

●

وذهب اليها ..

لم يستطع ان ينتظر ..

وكانت تقف في انتظاره بباب الشقة ..

غمرت نفسه موجة من الخجل وهو يلتقي بعينيها الذائبتين في بحر عينيه، وابتسمت له بحرارة، كأنها كانت تريد ان تزيح بابتسامتها تلك عن نفسه احساسه بالأثم الذي اقترفه في لحظة نزق وجنون، وقالت له وابتسامتها المرحة تشق لها الطريق اليه :

— لقد تأخرت ايضاً .. تماما كعادتك من كل مرة، واني قد وجدت لك العذر الذي يبرر تأخيرك .. تماماً كعادتي من كل مرة ..

قال بحزن وهو لايستطيع ان يرفع رأسه اليها :

— اني آسف ..

وانتظرت منه ان يخرج مفتاح الشقة من جيبه ليفتح به الباب ..

لكنه لم يفعل ..

كان في حالة من القلق بحيث لم تمنحه المجال ليتصرف على طبيعته ، فتساءلت بنفس مرحها الذي كان قد اعتاده فيها من قبل :

— افتح الباب .. مالك ! ..

تذكر المفتاح ، فمد يده الى جيبه ، واخرجه ، فتناولته منه ، وفتحت به الباب ، ثم سبقته الى الدخول ..

ودخل من بعدها ..

وانتظرته قليلا حتى استعاد بعض هدوئه ، ثم سألته وهي تلقي بنفسها فوق نفس الأريكة التي جلست عليها منذ ايام :

— هشام .. مالك ! ..

قال وهو يتأملها بهدوء :

— لا ادري ! .. انا نفسي لا ادري لماذا اصبحت هكذا بعد الذي حدث لي معك .. اشعر باني من اخس الرجال وارذلهم كلما اراك ..

تركت مكانها ، واتجهت اليه ، وقالت وهي تبتسم له بدفء :

— بالنسبة لي .. انت هو انت .. هشام الذي عرفته بالأمس .. واعرفه اليوم .. واني لا اجد فيك اي فارق بين الأمس واليوم ..

سألها بمرارة :

— لماذا اخترت هذا المكان بالذات لتريني فيه ! ..

تساءلت :

— هل يضايقك المكان بشيء ! ..

— كلا .. لكني اسألك .. لماذا اخترته لنلتقي فيه ! ..

— لأنه المكان الوحيد الذي اصبحت اشعر فيه بالأمان وانا معك ..

سألها وهو يتململ في مكانه بضيق :

— تعالي نخرج من هنا ..

استغربت ، فسألته :

— لماذا ! ..

— اريد ان امشي قليلا معك في الشارع .. هل تريدين ؟ ..

نظرت الى عينيه الفاترتين ، وابتسمت لهما ، ثم اجابت :

— آه .. فلنخرج ..

وخرجا الى الشارع ..

كان الظلام قد خيم على الدنيا كلها ، والحركة خافتة من حولهما ، ولا حدود للطريق الذي يرسمه الشارع لأقدامهما .. فسارا ..

واقتادتهما اقدامهما بعد رحلة من التعب اللذيذ الى شارع (—) فسارا بمحاذاة النهر .. نظراتهما لاتستقر على شيء حتى تتحول عنه الى غيره .. وافكارهما مشتتة ، لاتريد ان تعرف للاستقرار معنى .. واعصابهما تهدأ في رأسيهما ببطء .. ببطء .. ببطء ..

وسألته وهي تعيد نظراتها من النهر اليه :

— الى اين نسير ! ..

اجابها :

— لا ادري ..

— الا يضايقك ان تسير في الدنيا من غير غاية او هدف ! ..

— احياناً .. لكني اجد راحة كبيرة وانامعك فأنسى كل شيء .. هل يضايقك انت هذا ..

— اووووه .. كلا .. كلا .. اتمنى لو اني اسير معك حتى آخر الطريق ..

ابتسم ، وقال وهو يمد يده في الظلام نحو يدها ويقبض عليها برفق:

— لن نقف اذن .. لن نقف مادمنا نبحث عن آخر الطريق ، وطريقنا كما يبدو لي بلا نهاية .. انه البداية دائماً ..

كانت هنالك نسمات عذبة من الهواء البارد تهب من المشرق فتداعب شعرها ، فسحبت يدها من يده لترفعها الى شعرها فتعيده الى وضعه الأول ، ثم تمتمت له :

— هشام .. تعال لنجلس قليلا في هذه الكازينو ..

سألهـــا :

— هل تعبت من المشي ! ..

ضحكت بدفء ، واجابت :

— بصراحة ، تعبت .. لكني على استعداد ان اواصل السير معك بعد فترة استراحة قصيرة لو توافق انت ..

وافقها ، ودخلا الى الكازينو ، وجلسا حول طاولة صغيرة تقع في احدى زوايا المكان حيث يغمرها الظلام من كل صوب منها ..

والتفت اليها ، رشقها بنظرة سريعة .. واستجمع كل شجاعته ، وقال لها وهو يمد يده ببطء نحو يدها ويضغط عليها برفق :

— نجلاء ..

التفتت الى يده ، ثم رفعت وجهها اليه ، ولم تقل اي شيء ، فواصل وهو يمرر يده فوق كفها بحركة دائرية بطيئة :

— اني اعتذر لك .. هل ستقبلين اعتذاري ..

قاطعته وهي تضغط على يده قليلا :

— هشام ..

قاطعها وهو يرفع يدها الى شفتيه ويطبع فوقها قبلة دافئة طويلة :

— اني احبك .. نجلاء .. اني احبك ..

ثم سحب نفسه ببطء اليها ..

وهمس لها وهو يلف ذراعيه من حولها بتردد :

— ياحبيبتي ..

انامت رأسها على صدره ، وارتعش قلبها في الجوارح وهو يلتقي بقلبه ، وتمتمت له وهي تتمنى لو انها تعيش كل عمرها بين ذراعيه :

— هشام ..

لم ينتظر ان يسمعها ، ومد يده الى وجهها ليرفعه اليه قليلا ، وطافت عيناه في عينيها تبحث له فيهما عن سر الوجود ، فاحمرت وجنتاها حياء ، ثم .. ذاب كل شيء فيها في بحر من الخجل ..

وقرب شفتيه نحو وجهها .. وقربهما اكثر ، واكثر .. حتى بلغ بهما شفتيها ، فمسهما مساً رقيقاً ، فارتعشتا فوق شفتيه للحظة ، ثم غابتا عن الدنيا في اللحظة التي تلت في قبلة دافئة لا تعرف غير العنف والجوع ..

وهمست له وانفاسها تحترق في صدرها وتريد من يطفيء لها النار التي تعذبهـــا :

— هشام .. قبلني اكثر .. اكثر ..

وقبلها ..

قبلها حتى هدأ العنف في نفسها ..

ثم ..

اعادها الى اول شارع بيتها .

●

ووقف في مكانه يتأملها وهي تبتعد عنه الى بيتها ، فأحس مع كل خطوة من الخطوات التي كانت تلقيها اقدامها لتبعدها عنه بانه قد اخذ يضيع في متاهات مظلمة ، مخيفة ومظلمة .. وان ضبابة كثيفة ، وسوداء جداً قداخذت تظلل الدنيا من حوله لتجعله كالتائه في مكان غريب .. لايعرف فيه احد ، ولا احد يعرفه فيه ..

وتضايق ..

شعر بحاجته اليها ..

وبانه لايمكن ان يصبر الى الغد حتى يراها .. بل يحتاج اليها في كل لحظة لتكون معه .. يحتاجها في كل وقت لتملأ عليه وحشة الدرب الذي لم يبق له فيه غيرها ..

ووصل الى بيته ..

واراد ان يبحث له عن اي شيء كان ليلهيه عنها حتى يستطيع ان يريح اعصابه المنهارة ، ويهديء من حدة افكاره التي تعذبه ، فتناول احدى المجلات ، وراح يعبث بتقليب صفحاتها والنظر الى الصور فيها ، ثم .. القاها في مكانها بضجر ، واخرج له سيجارة .. اولعها ، وامتص منها نفساً عميقاً ، ثم .. لفظ الدخان الى الهواء بسرعة ، وفرك السيجارة في المنفضة ..

واحتار ماذا يفعل ايضاً حتى يأتي الغد ! ..

اين هي الآن ..

ساءل نفسه بمرارة ..

انها معه في كل مكان هو فيه .. صورتها معه دائماً .. خيالها معه .. خيالها يملأ عليه كل مكان .. صورتها .. صورتها .. صورتها في خياله .. وفي عقله .. وفي قلبه .. وفي دمه .. وفي .. وفي ..

لكنه يتعذب ايضاً ..

الصورة وحدها لاتكفي .. الصورة لاتكفي .. والخيال لايكفي .. ويريدها هي كلها .. الأصل والصورة ..

يريدها .. يريدها ..

ودفن جسده في الفراش ..

ثم ، نام من شدة التعب .

●

واستيقظ مبكراً في صباح اليوم التالي ..

وذهب اليها ..

انتظرها حتى اقبلت ، فترك مكانه وهرع اليها ..

لم يفكر بالناس الذين في المنطقة كما كان يفكر بهم من قبل .. بل كانت هنالك فكرة واحدة تستولي على كل مشاعره واحاسيسه في تلك الساعة .. فكرة واحدة ، هي ان يصل اليها ..

وهرعت هي الأخرى نحوه ..

احس من جديد بالدنيا تفتح له الف باب من الأمل لينفذ منه الى الجنة الذي كان يحلم بها كل عمره ، فمد لها يده قبل ان يبلغها وكأنه يخشى

ان تختطفها الأقدار منه في احدى لحظات جنونها . وانه يريد ان يسبق الأقدار الى اختطافها ..

وقال لها وهو يقبض على يدها بيده ويسحبها معه ليسيرها في غير الطريق التي اعتادت ان تسير فيه كل صباح وهي معه :

— تعالي من هنا ..

تساءلت بحيرة كبيرة وفوق شفتيها تبرق نصف ابتسامة ساحرة :

— الى اين ! ..

قال ونظراته تستقر في عينيها كأنه يريد ان يشبع من النظر اليها حتى اذا ماعادت وابتعدت عنه مرة اخرى فسيكون معه بعض الزاد الذي يعينه على بعدها :

— لم انم ليلة الأمس الا بعد ان دمرني الأرق .. والسبب انت ..

رشقته بنظرة دافئة ، وردت :

— انا الأخرى ، كنت افكر فيك .. وتعبت ..

— نجلاء .. الآن فقط استطيع ان اقول ، واؤكد بان احدنا قد خلقته الدنيا للآخر .. واني في كل مرة افترق فيها عنك احس وكأنني افقد شيئاً ثميناً من نفسي .. واخاف .. ثم اتعذب .. يعذبني خوفي من اني قد افتح عيني في الصباح الآخر فلا اجدك معي .. وحين اراك مرة اخرى احس باني قد وجدت ذلك الشيء الذي كان قد ضاع مني ..

ارتبكت عيناها ، فاغمضتهما للحظة لتفتحهما في اللحظة الأخرى ، وتمتمت :

— هشام ..

واصل :

— ومنذ اللحظة لايجب ان نفترق عن بعض ابدا ..

لم تجبه بشيء ..

كان وجهها الدافيء يسبح في بحر من الحياء، فأستطرد :

– الا توافقيني انت على اننا قد خلقنا لبعض، واننا لا يجب ان نفترق بعد اليوم عن بعض .. الا توافقيني انت على هذا ..

نظرت الى عينيه بحب كبير، ثم اومأت له برأسها توافقه على مايقوله، فتابع بحرارة اكثر :

– اني اشعر بالضياع في دنيا غادرة لاتريد ان ترحمني من العذاب كلما ابتعدت انت عني، وينتابني الضعف .. ثم، فجأة .. يتغير احساسي هذا حين اراك .. واشعر باني قـــد عدت كما انا .. عدت اقوى .. اقوى مما انا عليه من قوة ..

وسكت للحظة، ابتلع ريقه ببطء، ثم سألها :

– هل تتزوجيني لو طلبت منك هذا ..

سكت ايضاً، وانتظرها لترفع وجهها اليه .. وانتظرها لترد .. لتقول اي شيء .. وانتظرها حتى ضاق بصمتها، وبخجلها، وبخوفها، وبترددها، فسألها :

– هل تقبلين .. واوجوك .. اني انتظر منك الرد ..

رمقته بنظرة خاطفة، ثم عادت فاعادت نظراتها الى الأرض، فقال :

– موافقة انت .. وان قلبي يعلمني بانك موافقة .. الست كذلك ..

كان قلبها يطرق على صدرها بمنتهى القوة وكأنه كان يريد ان يشهده على حبها الذي تدفنه فيه ولا تجسر ان تبوح له به، فقال بلهفة وانفاسه تتهدج في صدره :

– سأعد من الواحد الى العشرة فاذا لم تتكلمي فمعنى ذلك انك موافقة ..

ابتسمت بصمت للوسيلة التي فكر بها لينقذها من المأزق الذي هي فيــه . .

فعد وقلبه يذوب من الوجد في كيانه :

— واحد . . اثنين . . ثلاثة . .

ثم ، ببطء وانفاسه تتعب في صدره :

— اربعة . . خمسة . . ستة . . سبعة . .

ونظر اليها ، وتابع :

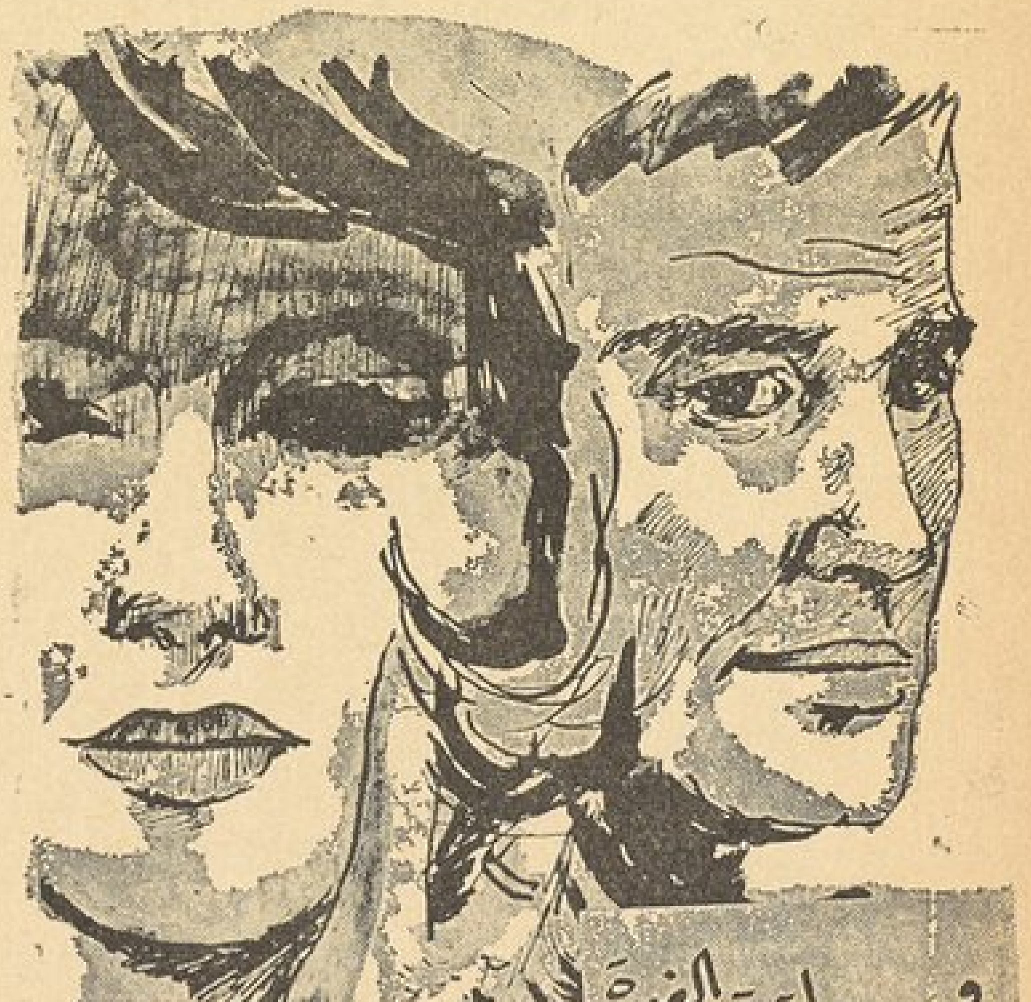
— ثمانية . . تسعة . . عشرة . .

وسحبها من يدها برفق ، فرفعت اليــه عينيها . . رشقتـه بنظرة حب عميقة ، وانصاعت الى يده التي تسحبها من المـكان الذي تقف فيه لتقودها الى الدنيا . .

و . .

سارت معه .

●


و .. ماتت الغيرة

كانا اسعد زوجين ..

تزوجا عن حب عنيف تخللته مغامرة كبيرة ، اثمرت هذا الزواج ..

وعاشا كل ايامهما في حب لايعرف الملل .. وكل لحظة كانت تمر من عمرهما بغير حب لم يكن لها اي معنى في قلبيهما ..

حياتهما ليس فيها غير الحب .. كلماتهما كلها عن الحب .. همساتهما عن الحب .. الحب .. الحب .. وكل شيء ماخلا الحب عبث ..

ومضت الأيام ..

والحب يكبر في قلبيهما ، وهما ينميانه كالطفل الصغير ، الوحيد لديهما .. ترعاه هي بحنانها ، ويسقيه هو بعطفه ..

ثم ..

اقترحت عليه ذات يوم ان تستخدم في البيت خادمة لتعينها على الشغل المتزايد بعد تذمر وتعب دائمين ..

ووافق ..

كان لايستطيع الا ان يوافقها في كل شيء تطلبه منه ..

واقبلت الخادمة ..

فتاة في الثامنة عشرة من العمر ..

وابتدأت المتاعب تغزو البيت الهادىء ببطء لتقتلع منه كل الأشياء الجميلة التي كانت فيه .. واخذت تنمو ، وبصورة متزايدة بذور الشك

والغيرة في قلب الزوجة ، وتحولت بمرور الأيام الى رقيب عليه .. تعد حركاته في البيت ، وتحصي خطواته ، وتراقب نظراته لتفسرها بالطريقة التي كانت ظنونها تقودها اليها .. كان اذا نادى على الخادمة ليطلب منها كوبة من الشاي نادتها هي الأخرى لتسألها في طلب شيء آخر ، وتذهب هي بنفسها لتأتيه بالشاي .. واذا طلب من الخادمة ان تذهب الى غرفته وتأتيه بالكتاب الذي فوق مكتبه نهرتها ان تعود الى شغلها ، وتذهب هي .. و .. و ..

ولم تعد تطيق ان تصبر على شكوكها اكثر ..

ذبحتها الغيرة ، وافقدتها كل عقلها ..

وانفجرت ذات مرة به ، قالت :

— انت لم تعد ذاك الذي كان .. ماالذي غيرك ! ..

احتار بماذا يجيب ، ونظر الى عينيها الغائرتين في المحاجر لحظات طويلة ، ثم قال وهو يتصنع الأبتسامة ليداري بها حيرته من امرها :

— احزري .. من يستطيع ان يغيرني بمثل هذه السرعة ..

قالت وهي تبتلع غضبها بألم :

— انت تعرف .. وتعرف كما اعرف انا ..

قال وهو يستغرب من سلوكها الغريب معه :

— اعرف ماذا ياحبيبتي ! ..

— لا ادري .. لكن ، لاتظن انني غبية ولا اعرف ماذا يدور من حولي في هذا البيت .. واني اذكى بكثير مما تتصورني انت ..

— هل انت جادة فيما تقولين ! ..

قالت كأنها تستهزيء منه ، ومن مسحة البلاهة التي يحاول ان يضعها فوق وجهه ليخفي بها آثار جرائمه عنها :

— وكيف تراني انت ..

قال وهو يحاول ان لايجرح احاسيسها بكلامه :

— حبيبتي .. لقد اعتدنا منذ ان بدأنا حياتنا معاً ان نعيش ايامنا كلها في ود وصفاء .. وكل لحظة كانت تمر من عمرنا، كنا نقتلها بالحب، وبالحنان، و .. ما الذي غيرك بهذه الطريقة ! ..

ردت والنار تلسع في كيانها لتبذر فيه المزيد من الشكوك :

— هل لاتعلم حقاً مابي ام انك تحاول ان تتجاهل الأمر ..

قاطعها بمنتهى الرقة :

— لا اعلم .. وتأكدي، اني في حيرة من امر تبدلك المفاجىء هذا، ولكم وددت لو انك تصارحيني بالذي يضايقك، فلعلني قد استطيع ان ابدد عنك مافي قلبك من اشياء اخذت تنغص علينا حياتنا ..

قالت وهي تلوي شفتيها بامتعاض :

— هذه الخادمة ..

قاطعها ببلاهة وهو يرفع وجهه الى عينيها المتقدتين بالغضب :

— مابها الخادمة ! ..

صاحت وكل اعصابها تثور في داخلها من الحقد :

— هل تحسبني مغفلة الى الحد الذي لا استطيع فيـــه ان اكتشف علاقتك بها ..

استغرقته ضحكة عميقة، وقال وهو يرشقها بنظرة حب كبيرة :

— ياايتها المجنونة، يازوجتي ..

واصلت :

— الم اقل لك انني اذكى بكثير مما كنت تتصورني .. وان الشيء الذي تحاول ان تظلله بستارة من الذكاء الأبله كنت انا قد اكتشفته فيك

منذ ايامه الأولى ، ولم يبق امامك الآن الا ان تعترف . .

ضحك ايضاً ، ثم عاد على صوتها وهي تصرخ فيه بشدة :

— ويؤلمني ايضاً ان اراك تتمرغ بين احضان هذه التافهة . .

قال بألم وقلبه يئن في اعماقه على اروع ما كان يمتلكه في الحياة :

— وا اسفاه . . اهذا هو ظنك بي . .

— ليس ظني بك ، وانما هذه هي الحقيقة . . وانني سأطرد هذه الخادمة من بيتي في هذه اللحظة . . ام انك لا تريد . .

— هل ان طردها من البيت سينهي كل هذه الظنون . .

لم تعره بالها ، وتركته في مكانه والحزن ينهش في كيانه وذهبت لتطرد الخادمة من البيت .

و . .

انتهت المتاعب بعد ايام قليلة من طردها للخادمة . .

وعادا الى الحب الذي اهملاه بعض الوقت . .

ورفرفت تحت سماء حياتهما نسيمات هانئة من الحب . .

ثم ، قالت له ذات يوم :

— هل تدري . . ان اشغال البيت ترهقني الى حد انني قد فكرت باستخدام . .

قاطعها بحنان كبير وهو يحتضنها بين ذراعيه ليغرقها بقبلاته المحمومة :

— كلا . . وهذه المرة لن اوافق انا . .

قالت في شبه توسل :

— هل يرضيك ان اشقى وافني شبابي وصحتي في اشغال البيت المرهقة . . هل يرضيك هذا . .

قال :

— كلا بالطبع .. لكن تعبك هذا يهون لجانب الخيانة التي ستوصمينني بها بعد ايام فيما لو جاءت الخادمة الجديدة ..

ابتسمت له بلين، وقالت بخبث وهي تتطلع الى عينيه بمعنى خاص :

— لن تكون فتاة هذه المرة .. وانما ولد ..

— ولد ! ..

— في الثالثة عشرة من عمره، وهو ابن خادمة امي .. فماذا ترى ..

— لكن .. لماذا الولد ! ..

ابتسمت ، وقالت وهي ترمقه بلوم خفيف :

— انت تعرف لماذا ..

قال وهو يرد لها ابتسامتها برأسه :

— مادام هذا يرضيك فاني لاأجد الا ان ارضى ..

واشتغل الخادم في بيتهما ..

وفترة قصيرة مرت بسلام من تحت سماء البيت، ثم اعقبتها المتاعب من جديد ..

وهذه المرة كان هو خالق المتاعب ..

واخذت الغيرة تنهش في قلبه، والشك يتزايد في اعماقه، ودائماً .. كانت تداخل نفسه الظنون من تصرفاتها مع الخادم ..

واخذ يراقبها .. ويراقب كل حركاتها في البيت ..

ودمرته ظنونه، فانفجر ذات يوم في وجهها ..

قال :

— اسمعي .. هذا الفتى، لا اريدان اراه بعد اليوم يمرح ويسرح في بيتي ..

التفتت اليه :

ماذا به هذا الرجل ليثور في وجهها هكذا ! . .

فسألته ببرود وهي تبتسم له بضيق :

— اي فتى ! . .

— الخادم . .

— هذا الطفل الصغير ! . .

— انني ارى فيه صورة رجل . . ومن الخير لنا ان نطرده . .

قالت وهي تثور في وجهه :

— هل جننت . . قل لي ، مابك ! . .

قال بهدوء وهو يتعذب من الغيرة التي تنهش في اعماقه :

— افهميني . . اني احترق في الساعة الف مرة كلما اراه يقف معك ليحدثك وانت تضحكين له . . واني لا اريد ان اراه بعد الآن في بيتي . . هل فهمت . .

— هل تشك في اخلاصي لك ! . .

— لا ادري . . وقد ابتدأت منذ اليوم الذي ادخلت فيه هـذا الفتى الى البيت اشك في كل شيء من حولي . .

— يا الهي ، كأنه رجل ! . . الا يثير موضوعك هذا على الضحك ! . . طفل في الثالثة عشرة من عمره ، كيف استطيع ان احبه ! . . قل لي ، كيف ! . .

— تستطيعين بمنتهى السهولة . . تستطيعين ، وليس الحب بالشيء الصعب . .

وبكت بحرقة . .

لم يرحم دموعها ، وتركها في مكانها ، وقام ليذهب الى الخادم ليطرده من البيت .

●

ومضت بضعة ايام اخرى ..

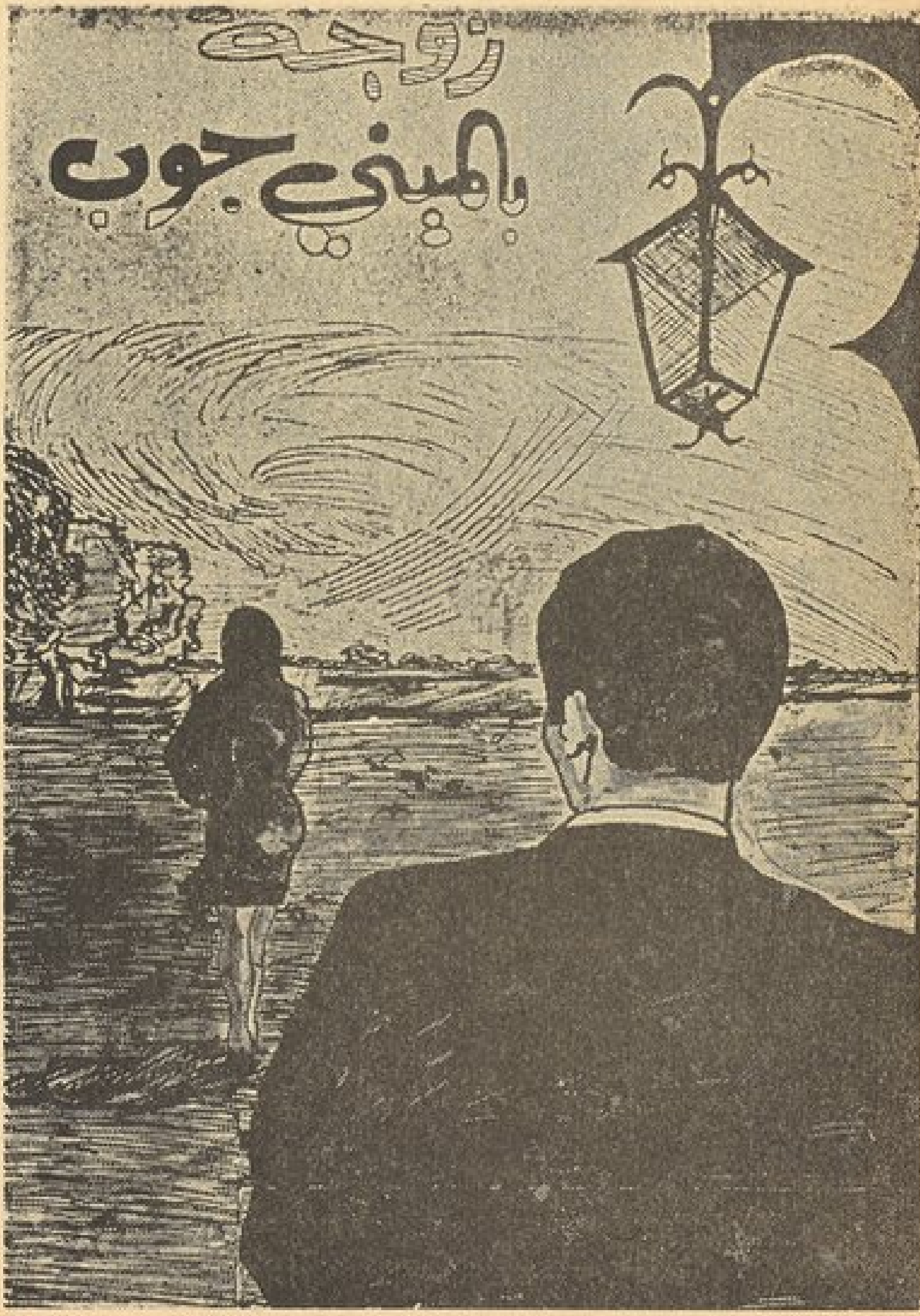
وتناسيا امر الخادم ..

وعادا الى الحب الذي اهملاه بعض الوقت ، وعادت لترفرف من جديد نسمات هانئة من السعادة تحت سماء حياتهما ..

وقررت ان تقوم هي بكل واجبات البيت بنفسها ، ولم تعد تفكر ان تستخدم خادمة ولا خادم ..

وماتت الغيرة .

●


زوجة
بالميني جوب

انا شلاش ..

شاب قروي ، استدعتني الحكومة منذ اكثر من خمس سنوات لخدمة العلم ، فجئت الى بغداد لألتحق بالجيش ..

كنت يومها في العشرين من عمري ..

واعطيكم فكرة مختصرة عني .. عن تكويني النفسي والجسدي ..

انا طويل القامة بالنسبة لعامة الناس ، اسمر الوجـه ، نحيف الجسد ، في شفتي السفلى اثر شق عميق تسبب عن وقوعي من فوق تل في قريتي وانا طفل صغير .. وانا ساذج .. ساذج جداً ، واعيش على الفطرة التي عودتني قريتي عليها .. وخجول .. تخجلني اشياء كثيرة قد لا تخجل غيري من الشباب .. وانطوائي .. يريحني جداً ان اعيش لوحدي من غير ان اعاشر اي انسان ..

لماذا انا هكذا ! ..

لا ادري ..

لعل لخجلي هذا بعض السبب في تولد حالة « الأنطوائية » هـــذه عندي .. ربما .. وربما كانت هنالك اسباب اخرى اجهلها انا ..

هذا هو انا ككل ..

شلاش ..

وقصتي لا تبدأ من هنا ..

قصتي تبدأ منذ اليوم الذي سرحت فيه من الجيش بعد خدمة دامت

اربع سنوات ، وكان امامي احدامرين .. اما العودة الى قريتي والعمل فيها بالزراعة شأني شأن غيري من ابناء القرية ، واما البقاء في بغداد والبحث عن اي عمل لي فيها لأكسب به قوت يومي ..

واخترت ان ابقى في بغداد ..

كان من الصعب علي ان اعود الى حياة القرية بعد الذي وجدته في بغداد من المغريات الكثيرة التي جعلتني اتعلق بها كتعلق الغريق بطوق النجاة ..

واشتغلت في احدى شركات توزيع المجلات والصحف براتب بسيط كان يكفيني ويفيض عن حاجتي ، واستأجرت لي غرفة صغيرة في بيت قديم كانت تمتلكه امرأة عجوز ، فقيرة الحال .. وابتعت لي بعض ماكنت احتاج اليه من الحاجيات التي قد تسهل لي الحياة في المدينة وتجعلني اعيش فيها بأرخص التكاليف الممكنة .. ابتعت « طباخ » يعمل على النفط لأستطيع ان اعد طعامي بنفسي ، وابتعت « مدفأة » تعمل على النفط ايضاً لتحميني من برد الشتاء الذي لم اكن قد اعتدت عليه من قبل ، وابتعت بعض الصحون ، وبضع اكواب للشاي .. وبالمناسبة ، فاني من اشد المدمنين على شرب الشاي .. كلنا في القرية نستطيع ان نستغني عن الأكل والشرب والملبس لكننا لا نستطيع ان لا نشرب الشاي بضع مرات في اليوم .. وابتعت « كرسي » و « سرير » و « طست » كبير كنت استعمله لغسل ملابسي .. كنت في كل مرة اعود فيها الى غرفتي اوصد بابها علي من الداخل واغسل ثيابي المتسخة ثم اعرضها امام نافذة الغرفة حتى تجف فأجمعها ، ثم انام ، و .. ابتعت اشياء اخرى بسيطة كانت تنفعني وتسهل لي امري ..

و ..

بصراحة ياجماعة ، اريد ان اقول ، ان حياة الأعزب ليس لها اي طعم في المدينة .. خاصة من كان بمثل حالتي ، ومن كان يعيش في القرية ولا يرى اي شيء من الدنيا ، ثم يأتي الى بغداد فيجد ان كل شيء من حوله قد تبدل ذلك التبدل الفجائي الذي لم يكن ليتوقعه ابدا .. ويرى في بغداد اشياء كثيرة لم يكن ليتخيلها حتى في الأحلام ..

واول تلك الأشياء .. « البنات » ! ..

البنات ! .. البنات ! .. البنات ! ..

لم يكن ليهمني من الدنيا اي شيء آخر سواهن .. البنات .. البنات ، وليس لي غيرهن .. وكن هن سبب تعلقي ببغداد وقطع آخر خيط لي كان يشدني بقريتي البعيدة .. البنات ، خاصة بعد الذي رأيته منهن في بغداد ..

و ..

الميني جوب ..

الزي الذي اعبده .. واعشقه .. وارتاح اليه .. واتمنى لو ان كل بنات قريتي كن اكثر تطوراً وتحرراً ، واكثر تفهما للحياة ، فيرتدينه .. فكنت اتحسر كلما تمر من امامي احدى الفتيات بالميني جوب ، فارشقها بنظراتي الجائعة ، المتعطشة جداً ، والممتلئة بالشوق الى البقاء مدى العمر وهي مسلطة على السيقان الرشيقة التي يحررها قليلا قليلا من سجنها اللعين هذا الذي اسمه « الميني جوب » ..

ومضت الأيام بي ..

وتوثقت صلتي ببغداد ، فعرفت بعض اهلها ..

وحدثني بعض من عرفت من الأصدقاء عن الحب ، وعن البنات اللواتي يصادقن الشباب .. تماما كما يصادق الشباب البنات ..

قالوا لي : هنا في بغداد لا يوجد اي فرق بين الفتى والفتاة ..

وان في بغداد « حرية » ..

استغربت الذي سمعته ، ولم اصدق ! .. ماهي الحريـة ! ..

في قريتي لا توجد مثل هذه الحرية التي يتكلمون عنها هنا ! .. في قريتي تذبح الفتاة التي تتجرأ وتحب اي شاب ، ويقتل الشاب الذي تحبه معها ايضاً ..

هل لا تقتل هنا الفتاة التي تتجرأ وتحب الشاب ! ..

ضحكوا مني ..

الحرية ايها الغبي .. الحرية .. قالوها الف مـرة اخرى في وجهي .. وقالوا ايضاً : هنا يوجد شيء اسمه الحب .. وليس الحب جريمة يحاسب عليها .. وان اية فتاة تستطيع ان تختار لها اي شاب لتحبه ، ثم قد يقودهما هذا الحب الى الزواج .. وقد لا ..

الزواج ! ..

هذه الكلمة كانت ترن رنيناً خاصاً في اذني بعد ان كنت قد قررت ان استوطن في بغداد ..

الحب اذن ، ثم .. الزواج ! ..

هنا في بغداد الحالة تختلف عما هي عليه في القرية عندنا .. الحالة معكوسة تماماً عندنا في القرية .. في القرية عندنا يأتي الحب بعد الزواج دائماً ، ويكفي ان ينوي اي شاب في قريتنا على الزواج حتى يبحث له اهله واقاربه عن الفتاة التي تناسبه فيتزوجها ..

ثم يحبها بعد الزواج ..

لكن ..

هنا ، في بغداد تختلف الحالة كما علمت ! ..

في بغداد يوجد تحرر .. يوجد تطور .. يوجد تفاهم .. يوجد

انسجام .. يوجد حب ..

واني اعيش في بغداد، ومادمت انا هنا في بغداد، اذن .. يجب علي ان اكون مثل اي فرد فيها .. ويجب ان ارفض عقلية وعادات وتقاليد قريتي القديمة، وافكر بعقلية ابناء المدينة .. العقلية المتطورة ..

ولو اردت ان اتزوج وانا في بغداد، فيجب بالطبع ان احب على نفس طريقة ابناء المدينة لأستطيع ان اتزوج على نفس طريقة اهلها ..

و ..

كنت قد قررت على الزواج ..

لذلك ..

كان علي ان افكر بالحب من قبل ان افكر بالزواج ..

وفكرت: كيف اريدها ان تكون الفتاة التي سأحبها ..

وكنت اصل دائماً الى هنا: اريدها طويلة، اقصر مني قليلا .. وممتلئة قليلا .. وعيناها واسعتان .. لايهمني لون عينيها .. وشفتاها مكتنزتان .. وشعرها طويل لتلقيه خلف ظهرها ..

وترتدي الميني جوب ..

والميني جوب كان شرطاً اساسياً في الفتاة التي كنت احلم بحبها .. فالفتاة التي اتمناها، اريدها ان تفهم معنى التطور .. تماما كما اصبحت انا افهم هذا بعد ان تركت قريتي وجئت الى هنا ..

وان الميني جوب هو احد مظاهر التطور الحديث ..

وابتدأت البحث عن الفتاة التي سأحبها ..

والميني جوب يتراقص امام عيني في كل مكان .. عفواً، عفواً .. اقصد الفتيات اللواتي كن يرتدين الميني جوب .. كنت اجدهن في كل مكان من بغداد .. عشرات من الفتيات كنت اراهن في طريقي، فأتعذب ..

وتذيبني حفنة الأنفعالات التي في الجسد اكثر ، واحس بالمزيد من الحرمان ..

ثم ..

لم اعد اطيق ان اصبر اكثر ..

نفد صبري تماما ..

واردت ان افعل اي شيء لأنهي به كل هذه الأنفعالات التي في الجسد ، والتي اخذت تقلقني الى حد الجنون ..

لكن ، ماذا استطيع ان افعل ! ..

حقاً ، ماذا سأفعل انا ! .. وكيف سأستطيع ان احب فتاة من الفتيات اللواتي تزرعهن المدينة في دروبي ! .. كيف ! .. وبأية طريقة .. بأية وسيلة استطيع ان اصل الى فتاة لا اعرفها ، ولا هي تعرفني ، ثم اطلب منها ان تحبني ! ..

و ..

كنت اقف في ذلك اليوم بباب المكتبة التي اشتغل فيها ..

وكالعادة ، مرت اكثر من فتاة من امام المكتبة .. وكالعادة ايضاً ، راحت نظراتي الجائعة تسبح تحت الف ساق باحثة عن السحر والجمال الذي يعلو ركب الفتيات ببضع سنتيمات ..

وتعبت عيني من النظر الى الفتيات .. والى السيقان ..

وداخت اعصابي ..

ثم ، فجأة .. وجدتها ..

كانت ترتدي الميني جوب .. رشيقة ، في حدود الثالثة والعشرين من عمرها ، وتنطبق صفاتها على الفتاة التي كانت تحلم بها اعصابي الدائخة .. عيناها عسليتان ، تشعان بالذكاء .. وحاجباها رفيعان كأنهما سهمان قد صوبهما القدر الى قلبي ليسقطه شهيداً في ساحة الحب والغرام .. وشفتاها

الرقيقتان كأنهما كانتا في حنين دائم الى من يضعهما على شفتين آخريتين ليعيد اليهما الدفء . .

هي . . هي . . وقلبي لا يمكن ان يخطيء ابداً في تقدير مثل هذه الأمور . . ثم ، تلك الأرتعاشة العنيفة التي اخذت تصعق جسدي لتكهرب كل قطعة فيه . . ماذا كانت تعني ! . .

الا يعني هذا ان في الأعماق اشياء لا استطيع ان افهمها ، لكني احس بها ، وهي تشدني اليها بقوة ! . .

وانتفض كل شيء في داخلي . .

اريدهـــا . .

هذه الفتاة . . اريدها . .

وتسمرت اقدامي على عتبة المكتبة ، ونظراتي الجائعة تلاحقها مع كل خطوة من خطواتها التي تلقيها على وجه الأرض اللينة لتجرحها بكبرياء مدمـــر . .

ورأيتها تدخل من باب احدى البنايات الكبيرة التي تقع مقابل مكتبتنا تماما . .

من تكون هذه الفتاة التي لم ارها من قبل ! . . تساءلت مع نفسي . . من تكون ! . .

اني اكاد اعرف كل فتاة تسكن في اية بناية كانت من البنايات التي من حول مكتبتنا ، وهذه الفتاة لم يسبق لي ان شاهدتها من قبل ! . .

اني اراها لأول مرة في حياتي . .

وداعبت خيالي المضطرب الف فكرة مختلة ، واضطربت في الرأس الذي تهيجه انفعالات الجسد وقضاياه الأخرى الف خاطرة . .

ورأيتها بعد قليل وهي تفتح باب احدى الشرفات وتخرج اليها لتقف

قليلا فيها وتتطلع الى اسفل الشارع لتبحث فيه عن شيء ما . .

ورأتني هي الأخرى . .

التقت اعيننا ببعض للحظة ، ثم . احسست في اللحظة الأخرى بنوع خفيف من الخجل يداهم نفسي المضطربة ، فعدت وابعدت عيني عنها وقلبي تعذبه في الجوارح حيرتي من كل هذه الأشياء الغريبة التي كانت تنفعل في داخلي ولا اجد لها اي منطلق الى الدنيا . .

وغزل الخيال اللذيذ لقلبي الذي ابتدأ ينشط في الضرب على صدري الف حلم . . وعقلي يفكر . . ويفكر بعمق ، وبطريقة جديدة لم يألفها من قبل . .

وساءلت نفسي بعد ان عادت هي الى داخل الشقة التي خرجت منها ، وبعد ان عدت انا الى داخل المكتبة : ماذا تبقى لي بعد الآن ! . . بعد ان وجدت الفتاة التي اريدها ! . .

واحترت تماماً . .

كانت التجربة جديدة علي . .

وان مثل هذه الأمور قد تبدو للبعض من الأمور البسيطة ، وان لا تعقيد فيها لهؤلاء الذين سبق لهم ومروا بمثل هذه التجربة من قبل . .

لكن ، بالنسبة لي انا ، كانت من اعقد الأمور واشدها حيرة . .

ماذا كان سيفعل غيري لو ان نفس حالتي هذه تواجهه ! . . ساءلت نفسي ، واجبت بعد تفكير دقيق : ان مثل هذه الأمور تحتاج الى الجرأة . . والى روح المغامرة . . والى القوة . . والى الذكاء . . والى الرعونة قليلا . .

وان كل هذه الصفات يجب ان تكون معي فيما لو اردت ان الاحقها لأكلمها . .

وكنت اقف بباب المكتبة وانا افكر في قضيتي التي اخذت تشغلني

اكثر من اي وقت مضى حين لمحتها تخرج من باب البناية التي تسكن فيها لتنطلق الى الشارع ، فهببت من مكاني كالذي لسعته عقربا ، وفكرت بسرعة وانا اطلق لأقدامي العنان لألحق بها في الطريق الذي تذهب فيه : اقبلت ساعتك ياشلاش ، واثبت لهـا رجولتك .. ثم .. افرض هذه الرجولة عليها .. وكن جريئاً .. وقوياً .. وذكياً .. وارعنا .. و .. و ..

اخذت اقدامي تتخاذل ، وتتراخى وهي تحمل جسدي من مكانه لتنقله في الطريق الذي تسير فيه .. وقلبي يضطرب في داخلي .. مرة من الخوف ، ومرة من عظم التجربة التي اخوضها لأول مرة في حياتي .. ومرات كثيرة من اشياء كثيرة لم استطع ان افهمها ..

وبلغتها ..

اصبحت المسافة التي تفصلني عنها لاتتعدى البضع خطوات ، وكان الشارع خال تماما من الناس ، فاردت ان انتهز الفرصة واستفيد من الظرف الذي جمعني بها ، فضاعفت من سرعتي اكثر ..

واقتربت منها اكثر ..

واصبحت المسافة ، بيني وبينها ، لاتزيد عن الخطوة الواحدة ، فارتبكت ..

لكني ، اقتربت ايضاً ..

واستجمعت كل شجاعتي مرة واحدة لأضعها تحت لساني الخائر ، وهمست لها بصوت واطيء ، حاولت ان اجعله لايتعداها هي بالذات :

— الله .. ماأروع من صب كل هذا الحسن والجمال ! ..

بلغت مسامعها كلماتي ، وقدرت اني اقصدها هي بالذات ، فالتفتت نحو مصدر الصوت ببطء ..

ورأتني ..

رمقتني بنظرة قاسية ، تنطوي على الف معنى غامض .. ثم واصلت سيرها بخطى سريعة لتنجو بنفسها من المكان الذي جمعها بي ..

وتشجعت اكثر ..

ولحقت بها حتى اقتربت منها ، وقلت وانا اهمس لها بصوتي المبحوح :

— والميني جوب يا ربي! ..ماذا يصنع في قلبي هذا الميني جوب! ..

تضايقت اكثر ، لكنها واصلت سيرها من غير ان تلتفت صوبي هذه المرة ، فاستجمعت شجاعتي ايضاً ، وقلت لها بصوت اعلى قليلا من المرتين السابقتين :

— ان قتل النفس حرام ياناس .. وآه من البنات ! ..

فجأة ، توقفت في مكانها ، ثم التفتت الي .. رمقتني بنظرة غضب شديدة يقطر منها الشرر ، وصاحت بكل صوتها في :

— ادب سز ..

يالمصيبة ! ..

لم اكن اتوقع ابداً ان يكون استقبالها لي على هذه الصورة ! .. فتخاذلت اقدامي في مكانها .. واحسست بالأرض تميد من تحت اقدامي ، وبأني لا استطيع ان اقف على اقدامي الخائرة اكثر .. وقد اقع في اية لحظة .. واحسست بأني انسان ضائع ، وعاجز عن الرد .. عاجز حتى عن التطلع الى وجهها الذي اخذت تقاطيعه ترهبني ، فأدرت لها في الحال نصف جسدي الأعلى ، وتبعته بالنصف الآخر .. ثم قفلت عائدا وكل الأشياء تصغر في عيني وتذوب من الخجل ..

لم اعد الى المكتبة .. بل عدت الى البيت على الفور ، وكنت قد عزمت على ان افعل المستحيل لتكون هذه الفتاة من نصيبي .. وليس

المهم ان احبها وتحبني كما يفعل ابناء المدينة حتى يتم زواجي بها ..

ليس المهم هذا ..

المهم ان اتزوجها فتحبني بعد الزواج كما يفعل ابناء قريتي ..

اما حكاية الحب قبل الزواج فانها ليست بالسهولة التي كنت اتخيلها وانا مستلق على فراشي في كل ليلة ، احلم .. وان من المستحيل علي ان اتقدم من ايةفتاة فأقول لها بمنتهى الوقاحة اني احبها .. قديستطيع غيري ان يفعل هذا ، لكن انا ! .. كلا ..

ورويت للمرأة التي اسكن في بيتها قصتي ، ثم طلبت منها ان تذهب الى بيت الفتاة فتطلب لي يدها من اهلها ..

وذهبت المرأة ..

ثم . . عادت لتقول لي بان اهل الفتاة قدفرحوا ، وان كل شيء خير بأذن الله ، وان والد الفتاة يريد ان يراني .. وان الفتاة ، هي الأخرى تريد ان تراني ..

وذهبت اليهم في البيت ..

فعرفتني الفتاة حال ان رأتني ، وابتسمت لي بحياء شديد وهي تدفن نظراتها في الأرض وتنسحب من الغرفة لتتركني مع بقية اهلها ..

و ..

تم كل شيء بسرعة مذهلة لم اكن اتوقعها انا نفسي ..

ووافقت الفتاة ..

ووافق اهلها بعد ان سألوا عني في المكتبة التي اشتغل فيها ..

و ..

تزوجت .

●

هل تعرفون ماذا حدث لي بعد الزواج ! ··

هل تعرفون ! ··

لقد اشترطت على زوجتي ان تقلع عن ارتداء الميني جوب ··

فبكت زوجتي ··

قالت وهي تذرف الدموع الساخنة من عينيها الملتهبتين :

— انه آخر موديل ·· وكل النساء يرتدين الميني جوب ، وانا ارتدي ماترتديه غيري من النساء ··

اسكتها وانا اثور في وجهها من الغضب :

— فليكن آخر موديل ·· ولترتديه كل نساء الأرض ، لكن ·· بالنسبة لي انا ·· فاني لااسمح ابداً لزوجتي ان تكشف عن ساقيها فتعرضها على الرجال في كل مكان ·· هل فهمت ··

قالت :

— لماذا تنظر اليه من هذه الناحية ! ··

قلت :

— اني لااستطيع ان انظر اليه الا من هذه الناحية . . واني اتكلم عن تجربة

قالت بعد ان يأست كل محاولاتها في اقناعي :

— انت رجعي ·· وافكارك متأخرة جداً ··

قلت :

— ربما ·· لكن ، حكاية هذه البدلة تقلقني ·· واني كزوج ، لن اسمح لك بارتداء مثل هذه الفساتين القصيرة ··

قالت :

— انت قروي ·· وانت ضد التحرر ·· وانت ··

قاطعتها بكل ثورتي التي كانت تلتهب في اعماقي :

— لايهم هذا .. وان كلامي هو الذي يجب ان يسود هنا . .

لم تقبل ان تستمع الي . .

وتركتني ، وعادت الى بيت اهلها . .

وجاءني والدها بعد ايام ، سألني وهو محتد :

— ماهذا الذي اسمعه عنك ياشلاش ! . . هل حقاً انك قد منعت ابنتي من ارتداء فساتينها ! . .

قلت له وقلبي يكتوي بنيران من السخط عليه وعلى ابنته :

— الميني جوب فقط ياعمي . .

قال كأنه يستغرب الذي يسمعه مني :

— الميني جوب ! . . مابه ! . .

— انه خليع كما ترى . . بدلة خليعة . . واني لا اريـد ان ترتديها زوجتي . .

— لكن ، كل النساء يرتدين مثلها . . وان الميني جوب هو مودة العصر ! . .

— فليكن . .

انتظرني قليلا حتى هدأت ، وعاد ليقول :

— اسمع يا ابني .. ان كل الاشياء تتطور مع مرور الزمن .. هل تذكر كيف كان يجلس اجدادنا من قبل ليأكلوا .. وكيف اصبحنا نجلس نحن لنأكل .. اصبحنا نجلس حول مائدة بعد ان كنا نجلس على الارض ، ثم لانكتفي بهـــذا ، بل نضع من حولنا باقة من الزهور لتفتح شهيتنا على الاكل ..

اجبته ببرود :

— والاكل هو الاكل دائما .. واني افضل ان اجلس على الارض

حين آكل ..

قال :

— لماذا الارض مادمت تستطيع ان تجلس حول المائدة ! ..

قلت :

— اني اشعر بحريتي التامة وانا اجلس على الارض ..

قال وهو يبتلع ريقه بضيق :

— انت مثلا .. قد جئت من القرية ، وكنت على غير ما انت عليه الآن .. تغيرت تماما .. الم تجد ان الحياة قد تبدلت من حولك عما كانت عليه في القرية ..

ضايقتني كلماته ، فأجبته بصبر نافد ..

— كلمة واحدة اريدك ان تسمعها مني .. اني لا ارضى ابدا ان ارى زوجتي ترتدي الميني جوب .. وقل الذي تريد قوله .. واني اريدها ان تفهمني ..

تركني هو الآخر بعد ان يأس من اقناعي ..

وخـــرج ..

وزوجتي لم تعد الى البيت لأنها لم تستطع ان تفهمني ..

وارسلت من يقول لي بانها لن تعود الى البيت الا اذا وافقت ان ترتدي ما يريحها من الفساتين . . كغيرها من نساء المدينة ..

وانا لا يمكن ان اوافقها ابدا ..

و ..

طلقتها .

و ..

عدت الى قريتي ..

وتزوجت هناك في القرية ..

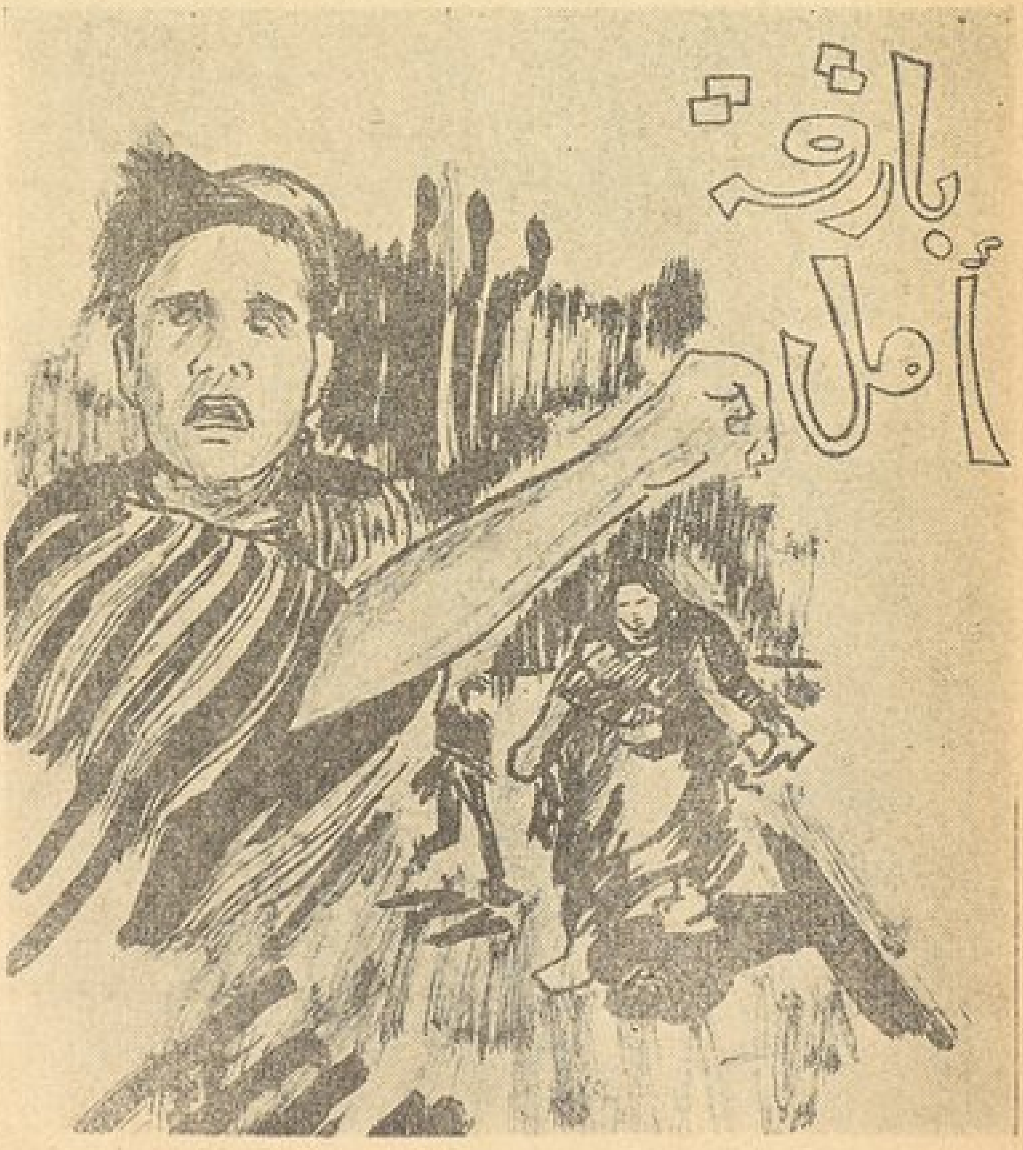
وزوجتي لا ترتدي الميني جوب ، ولم تسمع عنه حتى اليوم .. وان كل فساتين زوجتي طويلة .. تصل الى قدميها ..

ودائماً ، تضع فوق كل فستان ترتديه عباءة سوداء لتحمي وجهها من اعين الناس ..

و ..

اني اعيش في منتهى السعادة .

●


بارقة
أمل

كانوا ثلاثة .. امرأة ورجلين ، يتدافعون بالمناكب ليصل آخرهم قبل اولهم .. والليل في منتصفه تقريباً ، والظلام يلف كل الدنيا ، والسماء مكتظة بالغيوم وهي تبشر بهطول المطر في كل لحظة مقبلة ..

كانت المرأة تسير في مقدمة الموكب ، ومن خلفها .. على بعد خطوات قصيرة منها كان ولدها الذي يناهز الخامسة عشرة من عمره .. وفي المؤخرة .. كان الزوج يبذل مجهوداً شاقاً ليلحق بهما .. كان يحاول ان يبلغهما .. وان يتقدمهما دائماً ليتصدر الموكب ، لكن اشياء كثيرة كانت تحول دون تمكنه .. في مقدمة تلك الأشياء كان تقدمه في السن ، وتصلب الشرايين في الجسد ..

و ..

ابرقت السماء ..

ثم ، ارعدت مذعورة ..

ومن جبين السماء ، تصببت حبات صغيرة من ماء غيمة رعناء لم تقو على البقاء اكثر في مكانها ، وارتعش الكون كله بعد لحظات قليلة .. ثم ، اقبلت من ابعد ابعاد الكون المزيد من الغيوم .. اقبلت من كل اطراف الكون لتستقر في المكان الذي هم فيه ..

وانهالت الأمطار بغزارة ..

تباطأت المرأة ، واخفضت من ركضها قليلا ، واشرأب عنقها نحو

السماء تبحث فيها عن القليل من الرحمة ، ثم التفتت نصف التفاتة الى الوراء لتبحث عن الرجلين ..

ورأت ولدها على بعد خطوة منها ، فهتفت به :

— اين والدك ! ..

نفض الأبن حبات المطر عن ثيابه ، واستدار الى الوراء يبحث بعينيه القلقتين عن والده ، وقال :

— سيأتي .. لقد تركته منذ قليل ورائي .. لكن ، مالك تلهثين يا اماه ! ..

ردت ووجهها تنام من فوقه خيبة الدنيا كلها :

— لاشيء ..

قال باشفاق :

— لم يبق لنا الا القليل و نصل ..

تساءلت بمرارة :

— كم تبقى ..

قال :

— مسافة عشر دقائق ونحن نركض ..

وأحسا معــاً على حركة ضعيفة تنبعث بتثاقل شديد من ورائهما ، فالتفتت الأم الى الوراء ، ورأت زوجها وهو يزحف ببطء وارتخاء نحوهما وصدره يلهث من التعب ، فنظرت اليه نظرة خرساء باهتة ليس فيهــا اي معنى ، فرفع هو الآخر رأسه اليها .. تأملها للحظة سريعة ، وقال وهو يبتلع انفاسه بصعوبة :

— لماذا توقفتما ! .. لماذا ! ..

رد الأبن وهو يركل الأرض بقدمه :

— كنا ننتظرك ..

قالت الأم وهي تبتسم في وجه زوجها بحزن لتشد من عزيمته على المضي في الدرب الطويل بلا يأس :

— الا تجلس قليلا لتريح نفسك ..

ثم استطردت وهي تتأمله باحترام كبير :

— اجلس هنا ، فما زال هنالك بعض الوقت على بزوغ الفجر ..

قال الأب وهو يرمقها بنظرة لوم فاترة :

— كلا .. وهيا بنا لنواصل السير ، وتذكرا معاً .. ان الحياة دائماً للذي ينتهز الفرص المناسبة لا للذي ينام تحت الشمس ويأمل ان ترزقه السماء بشيء ..

رد الأبن وهو يتطلع الى وجه والده بفخر واعتزاز :

— اننا نحتاج الى كل دقيقة لنصل بها الى هناك .. وان الحظ يحتسب دائماً بالثواني .. ووالدي معه الحق ، وعلينا ان نسبق غيرنا الى مكان العمل .. فلنركض ..

قالت الأم بملل ، ونظراتها تتيه في كل صوب من السماء :

— يالها من ليلة ..

تمتم الأبن وهو ينقل نظراته بقلق الى المكان الذي تتطلع اليه امه :

— ليلة متعبة ، واني اكره المطر ..

بحدة وغضب معاً ، لكن لايزال في الصوت بحة حنـــان عميقة ، قال الأب :

— كفا كما تشاؤما .. وكونا متفائلين ، وليكن رائدكما العمل .. العمل قبل اي شيء آخر من اجل ان نعيش فوق هـــذه الأرض بأمان ..

قالت الأم ولاتزال نظراتها تسرح في السماء :

— لكم بت اكره هذه اللقمة .. واكره الدنيا كلها من اجلها .. في كل مرة اسأل نفسي فيها .. لماذا يا ترى لم اخلق لأعيش كما تعيش غيري من نساء الارض ! .. لماذا ! . حقاً ، لماذا خلقت لأشقى كل عمري ، وكم سيطول بي هذا الشقاء ! ..

رد الأب والالم يفتت قلبه :

— انت تفكرين دائماً بأكثر مما يجب ، وهذا خطأ يا ايتها المرأة .. ودائما تبتعدين عن الواقع الذي انت فيه ، لذلك .. فمكتوب عليك الشقاء الأبدي ..

قالت الام بحسرة عميقة :

— لكن ، لماذا ! .. لماذا اشقى دائما ! .. قل لي انت لماذا ! ..

اجابها بنفس الالم وقد اخذ قلبه يغوص في اعماقه :

— بأحلامك السرابية هذه لن تزيدي الامر الا تعقيدا ، لذلك انصحك بالعودة الى واقعك الذي خرجت عنه ، واتركي مثل هذه الاحلام لغيرك من نساء الارض ..

قالت كأنها تحلم في حلم لذيذ ولا تريد ان تستفيق منه :

— احلامي السرابية .. هل تدري كم تأخذ مني هذه الاحلام ..

قال :

— كل وقتك ..

— بل كل عمري .. ولشد ما اتمنى لو اني اعيش كما تعيش غيري من النساء .. براحة ، وطمأنينة ، ودفء .. اتمنى ان افتح عيني ذات صباح فاجد ان احلامي هذه قد تحققت .. وليس هذا على الله بكثير ..

— كلا .. لكن ، لماذا نشرك الله دائما في متاعبنا ! ..

— لا ادري ..

بتأفف وضجر ، قال الاب وهو يتأهب لمواصلة الطريق :

— حاولي ان تحصري كل تفكيرك في الواقع الذي نحن فيه . . واقعنا نحن الثلاثة ..

لوت شفتيها بامتعاض ، وتمتمت :

— هذا الواقع القذر الذي اكرهه ..

تضايق الابن في مكانه ، فقال وهو يرخي نظراته عن امه قليلا :

— اماه .. فلنسرع ، وكفاكما كلاما لن يطعمنا سوى الهم والكدر ..

قال الاب وفوق شفتيه تبرق شبه ابتسامة كئيبة :

— انت مصيب ياولدي .. اما انت يا ايتها المرأة فمهما حاولت ان اقنعك فاني لن ازيد الموقف الا تعقيدا ..

قالت الام بتذمر :

— لأنني امرأة .. امرأة كغيري من النساء .. مجبولة من ماء وطين ، وبقية النساء مجبولات من نفس الماء والطين .. لكن ، هذا القدر الدنيء كان اقسى علي منهن فسود لي حياتي وجعلني احترق حتى الموت الف مرة في اليوم ..

— لست الوحيدة على اي حال يا ايتها المرأة .. لست الوحيدة ، وهنالك الكثيرات غيرك .. هنالك من هن دونك ايضاً .. ولكل امرأة حظها وظروفها في الحياة ..

قالت الام بتحد وهي تزفر انفاسها بحقد :

— لاتهمني غيري .. وتهمني نفسي انا قبل غيري من النساء ..

قاطعها الاب بضجر وهو يتطلع الى جوف السماء ويلعن في ذاته كل النساء :

— حكايتنا ستطول ·· ومن الخير لنا ان نسرع قبل ان يدركنا الوقت فتهلكنا افكارك هذه يا ايتها المرأة التي لاتريد ان تفهمني ·· فلنسرع ··

و ··

تحرك الموكب ··

سار الابن في المقدمة ، وتبعته الأم ·· وعلى بعد خطوة منهما ، كان الاب يجر جسده المنهك جرا ليحثه على مواصلة الطريق ··

كان سيرهم بطيئا في لحظاته الأولى ··

ثم ، اخذوا يسرعون ببطء ··

اسرع الابن قليلا ، وكان لايزال في مقدمة الموكب ، وكان من الطبيعي ان تلحق به الام ، فأسـرعت هي الاخرى قليلا لتلحق به ·· واضطر الاب ان يضاعف من سرعته ليبلغهما ··

ومضت دقائق ··

ثم تحول سيرهم الى ركض سريع ··

واضطربت السماء ايضا ··

ابرقت ، ثم ارعدت ·· ثم ، انهمرت من جوفها الامطار بغزارة ·· وغارت اقدامهم في الوحل ، وتبللت ثيابهم ·· لم يأبهوا ·· كان اهم مايهمهم ان يصلوا الى مكان العمل قبل غيرهم من العمال ··

و ··

وصلوا ··

اجال الاب بنظراته في ارجاء المكان يبحث عن سر هذا الصمت الذي لم يألفه فيه من قبل ، واصغت اذناه للحظة ·· وكانت على استعداد لأن تلتقط صوت دودة صغيرة وهي تنخر وجه الارض على بعد ميل من المكان ، وانتابته موجة قاتمة من الهواجس ··

الأصوات ! .. الأصوات ! .. اين اصوات المكائن التي كانت تشق الآذان ! .. تلك الأصوات التي كان يمقتها ويتمنى في هذه اللحظة لو انها تدوي في اذنيه حتى الأبد ! .. وضجيج العمال الذي كان يملأ كل مكان ! .. و ! .. و ! .. و ! ..

كان يتمنى لو يسبق كل عمال الأرض الى هنا ، الآن .. يتمنى لو يجتمع كل عمال الأرض في هـذه البقعة الصغيرة من الكون ليستطيع ان يطمئن الى ان المكان مـكان عمل وانه لم يخطيء المكان ..

وسأل الأبن امه بلهفـة وشوق ورأسه يدور في كل الأتجاهات من المكان :

— من اين ندخل ..

رد الأب عليه وانفاسه تذوب في صدره من اشياء كثيرة غامضة لايعرف ماهيتها :

— تعالا من هنا .. اتبعاني ..

سار امامهما ، فتبعاه ..

ووقف الأب عند منتصف الطريق المؤدي الى داخل مكان العمل ، وترددت نظراته وهي تطوف حول المكان كأنها تشاركه في البحث عن سر هذا الصمت القاتل الذي يغلف المكـان ، وتتابعت انفاسه ، وخفق القلب في الصدر المضطرب ..

ومد يده بعد تردد طويل الى الباب الحديدي الكبير ليدفعه ..

ثم ، فجأة ، سمعوا صوتاً من بعيد يصرخ فيهم :

— قفوا في اماكنكم ..

و ..

اجفلوا في اماكنهم ..

وببطء شديد ، حاول الأب ان يستجمع بعض حيله ويلتفت قليلا

الى مصدر الصوت ، الا ان صيحة اخرى اشد من الأولى وارهب اردعته في الحال وشلت فيه كل قواه :

— لاتتحرك .. الم تسمعني ايها الرجل ام انك تريد ان تعرض حياتك للموت قبل الأوان ! ..

سأل الأبن امه وهو يرتعد من الخوف :

— ماذا حدث ! .. ماذا ! ..

ردت عليه امه بانفاس يذيبها الفزع :

— لاتخف يابني .. لم يحدث مايخيف ..

همس الأب لهما بصوت مبحوح يخنقه التردد :

— هنالك اشياء نجهلها تدور من حولنا .. وعسى ان تمر هذه الليلة بسلام ..

زمجر الصوت ايضاً وهو يقترب منهم ببطء :

— بلا حركة والا اطلقت النار عليكم .. لاتحاولوا ان تتحركوا ..

ودنت الأقدام الثقيلة منهم بحذر .. ودنت .. ودنت ..

و ..

وجها لوجه .. صاحت وجوههم الخائفة وجه الرجل الغريب الذي كان يشهر في وجوههم بندقيته ليهددهم بها ، فخارت كل قواهم مرة واحدة وهم يرون البندقية الكبيرة مسددة نحو صدورهم ويد الرجل مستقرة على زنادها ..

اراد الأب ان يتكلم ويوضح للرجل موقفهم من المكان ، فعاجله الأخير وهو يسدد البندقية نحو صدره تماماً :

— لاتعجل في موتك قبلها ، واثبت في مكانك ..

ابتلع الأب ريقه بصعوبة ، وقال وهو يرخي عينيه الى الأرض :

— انت الحارس كما ارى ..

قهقه الحارس بصوت عال وكأنه يستمع الى نكتة قديمة ، وقال بسخرية يسبقها الحذر :

— وانت اللص كما ارى ..

— سامحك الله ايها السيد ..

— لاتحاول ان تنكر ! ..

قال الأب بتأثر شديد :

— انكر ماذا ! .. اهذا كلام يقال لنا ايها السيد ! ..

صاح الحارس بكل صوته وهو يلوي شفتيه بامتعاض :

— لصوص .. ليس معي غير هذا الكلام .. ووجوهكم تدل على مافي نفوسكم .. حركاتكم في الظلام تقول هذا .. خوفكم مني .. كل هذه الأشياء تدل على انكم من اللصوص ..

— هل ترى لنا اوجه لصوص ..

— انني لااجد في وجوهكم اية مسحة براءة ..

لم تطق المرأة على السكوت اكثر ، وقد كانت تود لو ان زوجها يفض الموقف ، فقالت بارتباك وهي تتأمل البندقية في يد الحارس :

— نحن حقاً من فقراء الناس ، لكننا لا نرضى ان نوصم بمثل هذه التسمية .. واننا اشرف من ان نكون من اللصوص ايها السيد .. اشرف ..

قال الحارس بغضب وهو يركز عينيه على وجه المرأة :

— اشرف ! .. كل اللصوص حين يضبطون متلبسين بالجريمة يتخاذلون منذ اللحظة الأولى فيحاولون استجداء من يقبض عليهم .. كلكم هكذا ، لكنكم بهذه الكلمات الرقيقة لن تقنعوني ابداً ..

المرأة ايضاً ، واوصالها ترتعد من الخوف :

— اهذا كلام ! ..

— لايعجبك مثل هذا الكلام ! . . بالطبع ، لن يعجبك ، لكني خير من يفهم هذه الزمرة من الناس ، وقد سبق لي وتعاملت مع العشرات من امثالكم قبل ان اتشرف بالتعرف عليكم . . واللصوص انواع وانواع . . تماما كالسلع ·· فيهم الطيب القلب . . الرقيق ، المهذب ·· وفيهم النوع المتوحش ، الشرس ، وانتم ·· انتم من اي نوع من هؤلاء ··

اجابته المرأة وهي تبتلع انفاسها بمرارة :

— نحن لامن هؤلاء ولا من هؤلاء ·· وتأكد ··

— اسمعي ايتها المرأة ·· كنت في اول عهدي بهذه الشغلة اصدق بسرعة كل مايقال لي ·· كنت امتلك قلباً رقيقاً لايعرف الحقــد ولا الغضب ·· هل تدرين الى اين قادني قلبي الرقيق هذا ·· هل تدرين ··

— لكننا ياسيد ! ··

قاطعها الحارس بغضب :

— قلبي هذا اوقعني في متاعب كثيرة لاحصر لها ولا عدد ، وجعل الرؤساء يغضبون علي ·· لكنني ، وبعد ان تمرست في هذه الشغلة استطعت ان اضع قلبي على الأرض واسحقه باقدامي ·· و ·· كما ترين ، الآن اصبحت اعيش بلا قلب ··

— لكننا ياسيد ! ··

قاطعها ايضاً :

— واستطعت ان اتوصل من خلال تجاربي الكثيرة مع امثالكم الى شيء ·· هل تريدين ان تعرفي ماهو ··

لم يقل اي واحد منهم اي شيء ، فواصل الحارس :

— تعلمت ان لا اشفق ولا اعفو على الذين يخالفون القانون ويعاكسونه ٠٠ هل تعرفون لماذا ٠٠ هــل تعرفون ٠٠ لأنهم يضرون

المصلحة العامة ..

نفد صبر الأب ، وقال ولايزال خوفه في تزايد مستمر من البندقية المصوبة الى صدره :

— اية مصلحة عامة هذه ياسيد !..

رد الحارس عليه بارتياح كبير :

— آه . . المصلحة العامة . . هل لا تعرف حقاً ماذا تعني المصلحة العامة ! . .

— كلا . .

— وبالطبع فانك تريدني ان اشرح لك هذه الكلمة . .

— لكنني اؤكد لك باننا لسنا من هؤلاء الذين تقصدهم . .

— كل الذين قبضت عليهم من قبلكم اكدوا لي هذا . . ثم ، بعد التحقيق معهم ثبت انهم من نفس الزمرة المخربة التي تدوس على القانون وتضر بالمصلحة العامة ..

— لكننا لم نفعل اي شيء قد يضر بالمصلحة العامة ..

صاح الحارس بانفعال شديد :

— يقول لم نفعل !.. وماذا تريد ان تفعل اكثر من هذا الذي فعلته انت ، وهذه المرأة ، وهذا الشاب !.. ماالذي تريد ان تفعل اكثر !.. قل لي !.. ماذا تريد ان تفعل اكثر من الذي فعلته ! . .

سأله الرجل بحيرة :

— انت قل لي ، ماالذي فعلناه لننال منك كل هذا السخط ! . .

— انتم قد دستم على القانون .. والقانون .. هل تعرف ماهو القانون ايها الرجل الجاهل .. هل تعرف ماذا تعني هذه الكلمة العظيمة ..

— لا اريد ان اعرف ..

— بالطبع لاتريد ان تعرف . . انت تريد ان تسرق فماذا ستفعل بالقانون . .

ضاق صدر الأب بالحارس ، فقال ونظراته تبحث له في كل صوب من المكان عمن يعرفه ليأتي فينقذه من هذا المأزق الكبير الذي هم فيه :

— قد لاتصدقني لو قلت لك اننا قد جئنا من مكان بعيد الى هنا من اجل ان نشتغل . . تحملنا التعب ، وركضنا حتى خارت قوانا . . وقد اوعدني المهندس ان يشغلني هنا . . وهذه هي زوجتي . . وان هذا هو ولدي . .

قال الحارس وهو يتفرس في وجوههم بحيطة وحذر :

— قل غير هذا الكلام . . ومهما ستقول فلن يشفع لك عندي . .

قالت الزوجة وهي تردد نظراتها مابين زوجها والحارس :

— انها الحقيقة . . وصدقنا ، انها الحقيقة . .

صاح الحارس بكل غضبه فيها :

— اي حقيقة هذه . . ثم ، ماقيمة هذه الحقيقة بعد رحيلكم . . وقولي لي ، هل ستبحث هذه الحقيقة معي عنكم لو ثبت فيما بعد انكم من اللصوص . .

— لكننا لسنا منهم . . الا تصدق اننا لسنا من هؤلاء ياسيد . .

— اصدق ماذا !.. واين هو الدليل الذي استطيع ان استند عليه في تصديقكم . .

قالت المرأة :

— قد تجد الدليل في وجوهنا . . هل ترى لنا اوجه لصوص . .

تردد الحارس قليلا قبل ان يقول ونظراته تتفحص المرأة والرجل معا ، ثم تستقر اخيرا على الابن :

— اذن ، فقد جئتم من اجل العمل . .

اجاب الأب بسرعة :

— اي والله . .

— لكن . . الا تعلمون ان العمل يتوقف هنا كلما تهطل الامطار ! . .
الا تعلمون هذا ! . .

خارت عزيمة الأب مرة واحدة وهو يتلقى كلمات الحارس وكأنه يتلقى طعنات من خنجر مسموم في قلبه ، وتناسى في لحظة يأس كل الدنيا . . وتناسى بندقية الحارس المصوبة الى صدره ، فتمتم من خلال موجة الحزن التي اخذت تظلل من حوله كل المرئيات لتحيلها الى العدم :

— ما شأن الشغل بالمطر ! . .

رد الحارس وهو يخفض بندقيته نحو الأرض قليلا :

— لأنهم يحفرون الأساس . . هل تريد ان تعرف ماهو الأساس . .

قال الأب والحزن يمزقه بعنف :

— اعرف . . واعرف باننا قد اصبنا بخيبة امل مريرة . .

تردد الحارس ايضا ، وتساءل :

— اذن ، فقد جئتم من اجل العمل ! . .

لم يجبه اي واحد منهم بشيء ، فاستطرد الحارس وهو يتأملهم ببرود :

— عودوا من حيث جئتم . .

قالت المرأة وهي تنفض عن كاهلها كل خوفها الذي كان قد اعتورها منذ ان صافح وجهها وجه الحارس :

— هل اقتنعت الآن باننا لسنا من اللصوص . .

رد الحارس بجفاء يمازجه بعض العطف :

— كلا . . لكن ، من الافضل لي ان اتركـكم لحالـكم ، فلربما كنتم

من غير هؤلاء الذين اعنيهم ..

تمتم الابن وهو يتعلق بعيني والده المتعبتين :

— هل نعود ..

اجابه الاب بحزن :

— ليس لنا غير العودة .. وا اسفاه ..

قالت المرأة باشفاق :

— فلنركض ، لعلنا نصل كوخنا بسرعة ..

رد الأب عليها و نظراته لاتزال تائهة تبحث له في المكان عن بارقة امل ضئيلة قد ترد اليهم الروح :

— لم يعد للسرعة في حسابنا اي مكان ..

و ..

بمنتهى التثاقل ، وبتراخي شديد ، قفلوا عائدين من حيث اقبلوا .

●


حكاية عن العشاق

سألته، وكانت تسير معه في شارع منزو، اظلم .. تغمره موجة من الهدوء، ويلفه الدفء من كل مكان:

— انتظرتك حتى يأست من مجيئك ..

رشقها بنظرة دافئة يقطر منها الحب، ثم قال في شبه اعتذار:

— اعذريني ياحبيبتي .. اعذريني، وانت تعرفين حالة الشغل عندنا في الشركة ..

غمغمت له وابتسامتها الرقيقة تبرق في ثناياها:

— دائماً تستطيع ان تقـــدم لي مايشفع لك عندي .. وآه منكم يامعشر الرجال! ..

ابتسم لها براحة عميقة، وقال:

— ياحبيبتي ..

رفعت رأسها اليه قليلا، نظرت الى عينيه للحظة، ثم قالت بتردد:

— كمال ..

ثم، سكتت ..

اسكتتها حركة يده وهي تزحف نحو يدهـــا في الظلام ..

ومضت لحظات مرتبكة، وبطيئة، ثم صافحت يده يدها، فتمتم لها وهو يضغط على كفها بشوق كبير:

— ماذا ياحبيبتي ..

— انني خائفة .. خائفة يا كمال ..

— خائفة وانت معي ! ..

— اجل .. وتعال لنعود الى .. الى .. هل نعود ..

سألها وهو يشد على يدها بكفه ، كأنه يريد ان يشعرها بوجوده معها دائماً :

— ماالذي يخيفك ياحبيبتي .. وددت لو اعرف ! ..

— الناس يا كمال ، الناس .. ماذا لو يروني وانا معك ! ..

قال بقوة :

— وماذا يهمك من امرهم .. المهم انا وانت .. ومادامت كلماتهم لاتصل الينا ، فماذا سيهمنا منهم ! ..

قالت بخوف :

— لكن .. بالنسبة لي انا ..

— ماذا يهمك انت منهم ! ..

— كمال .. السنتهم تجرح .. وانني فتاة ، و ..

قاطعها وهو يبصق انفاسه بتذمر شديد :

— اللعنة عليهم كلهم . . وانني احبك . . احبك ، فما شأنهم هم ! . .

ورفع يدها الى شفتيه ، وطبع عليها قبلة حارة ، فحاولت ان تسحب يدها منه ، ثم اعدلت عن ذلك في اللحظة الأخيرة ، وابقتها على شفتيه وهي ترتعد من اللهفة اليه ..

همس لها وهو يقترب منها قليلا ويلامس بكتفه كتفها :

— انت ساحرة .. هل تعرفين هذا .. وسحرك هذا يسبب لي الأرق ..

همست له ، وابتسامتها تبرق في الظلام فوق شفتيها كأنها تريد ان تنير له بها الدرب الذي يقوده اليها :

— كلا .. لا اعرف .. لماذا ! ..

— تصوري .. في كل ليلة ، احاول فيها ان انام ، والقي بنفسي على الفراش ، ثم اتقلب فوقه .. وادفن رأسي تحت الوسادة ، واحاول .. احاول ان ابعد خيالك عني لعلني قد استطيع ان انام .. ولا استطيع .. طيفك دائماً معي اينما اكون ، فماذا افعل ! ..

ضحكت بنعومة ، وقالت كأنها غير مصدقة لما يقوله :

— هل تحبني الى هذا الحد ! ..

— واكثر ..

تساءلت بشك :

— كيف اصدقك ..

قال وهو يسحبها قليلا اليه ، ويبطيء في سيره :

— انظري الى عيني ..

— قالت وهي تتطلع في عينيه بحب كبير :

— لا ادري .. يخيل لي ..

قاطعها بحرارة :

— ليس فيها غير صورتك .. وتأكدي ..

قاطعته بدلال وهي تذوب في الحب من كلماته :

— اريد ان اصدقك .. اتمنى لو ان قلبي يصدقك ..

— هل تشكين ياحبيبتي ! ..

و ..

ايقضتهما معاً من سبات احلامهما حركة اقدام خافتة تنم من اول الشارع ، فسحبت يدها بسرعة من يده لتعيدها الى مكانها وهي ترتعش من القلق ، وابعدت نفسها عنه ، وهمست بصوت تذبحه المخاوف :

— يا الهي ..

سألها بقوة وهو يقترب منها اكثر وكأنه يريد ان يشعرها بحمايته لها من هذا المجهول الذي طرق عليهما في لحظة مجنونة باب الجنة :

— مابك ! ..

انه رجل .. وسيرانا ..

— وماذا يهمك منه ! ..

— قد يعرفني ..

— فليعرفك .. ثم ماذا ! ..

— لكن ، ما الذي سيقوله عني لو رآني وانا معك في هذه الساعة من الليل .. وماذا سيظن بي ! ..

— لاتخافي .. حبيبتي ، وكوني جريئة .. قوية وجريئة كحبنا الذي لايعرف للخوف اي معنى ..

— لا استطيع .. كمال ، انني خائفة ..

ومضت لحظات قلقة .. لحظات كان كل شيء فيها يتمزق من الخوف .. ووقع الاقدام يعلو كلما اقتربت منها ، وقلبها يخفق في صدرها ، وانفاسها تتلاحق بسرعة وكأنها تريد ان تهجم على صدرها لتمزقه وتنطلق منه باتجاه السماء فتتبدد ..

وتخطاهما الرجل ببضع خطوات ..

وتنفست انفاسها بعمق وهي تدير رأسها الى الوراء قليلا لترى الرجل وهو يبتعد عنهما ، ثم اعادت نظراتها اليه ، وهمست له بتلعثم :

— هل نعود ..

قال بنوع خفيف من الضيق وهو يوافقها على العودة :

— اتمنى لو ابقى كل عمري معك ..

لم تجبه ، وصارت امامه . .

فتبعها . .

وغمرتهما معا حالة من الصمت العميق ، وكانت قد اوشكت ان تصل الى البيت ، فالتفت اليها ، تردد كثيرا قبل ان يقول لها :

— سعاد . . انني افكر . .

قاطعته بسرعة ، وكأنها كانت في انتظار ان يقول لها اي شيء لتلتقط منه حبل الكلام :

— ماذا . .

— فكرت كثيرا ، وتوصلت الى اننا لا يجب ان نفترق بعد الآن عن بعض ابدا . .

ثم نظر الى عينيها بشغف ، واستطرد وهو يبتلع انفاسه الحارة التي تمزق له صدره لتذيبه في بحر من الهواجس :

— ان فراق لحظة بالنسبة لنا يعني اننا سنتعذب و نشقى حتى نلتقي ، لذلك . . فمنذ اللحظة يجب ان لا نفترق عن بعض . .

قالت وقلبها ينقر بكل قوته على صدرها الذي تعذبه الانفاس المحرقة :

— كمال . .

قال :

— سأوصلك الآن الى بيتك . . وسأطلب يدك من امك . . والمهم ، هل توافقين انت . .

لم تجبه . .

كانت تشعر بنسمات حارة من الخجل تشل لسانها و تجعله يعجز عن الحركة في داخل حلقها ، فواصل :

— كلمة واحدة سأقولها لأمك . . كلمة واحدة . . سيدتي ،

اني احب ابنتك ، وان ابنتك تحبني ، وقد اتفقنا ، انا وسعاد ان نكون لبعض مدى الحياة ، فجئنا اليك لتمنحينا بركتك . .

لم تجبه ايضا ، فعاد ليقول :

— قولي لي . . هل ستوافق امك على زواجنا . . قلبي يعلمني ان امك امرأة طيبة . . وستوافق . .

اجابته بنوع خفيف من الحياء :

— امي تحبني ، وقد اعتادت ان تلبي دائما كل شيء اطلبه منها . .

— يا لحظنا الذي في السماء . .

ووصلا الى البيت . .

وتركته يقف في انتظارها عند باب البيت ، ودخلت هي لترى من في الداخل . .

ثم عادت اليه بعد لحظات قليلة ، وهمست له بفرحة كبيرة :

— ليس في البيت غيرها . . تفضل . .

دخل . .

ودخلت من بعده . .

ثم . .

سبقته الى احدى الصور الكبيرة المعلقة باعتناء كبير في صدر الصالون ، ووقفت امام الصورة . . ووقف هو بالقرب منها بانتظار ان تقدمه لأمها ، فالتفتت اليه ، وقالت له وكأنها تعرفه بامها :

— هذه هي امي . .

ثم رفعت رأسها نحو الصورة ، وتمتمت لها بحياء شديد :

— اماه . . هذا هو كمال الذي كنت قد حدثتك عنه . .

ابتسم للصورة ابتسامة صغيرة ، ثم استجمع شجاعته كلها وقال

باندفاع شديد متوجها بكلامه الى الصورة :

— سيدتي .. اني احب ابنتك .. وابنتك تحبني ، وقد اتفقنا معا على الزواج ، فماذا ترين ..

وانتظر قليلا ..

ثم التفت اليها ، وسألها بصوت خافت فيه مسحة من الاضطراب :

— ماذا قالت امك .. اني اكاد لا اسمع صوتها ..

تمتمت له وهي تدير وجهها عنه ناحية الصورة :

— انها راضية عنك ..

لم ينتظر ، وسحبها من يدها اليه . . رشقته بنظرة حب دافئة كأنها ترجوه ان ينتظر قليلا .. ثم ، لم تستطع هي الاخرى ان تقاوم رغبتها ، فالقت بنفسها كلها بين احضانه ، فتلقاها بذراعيه ، وقرب شفتيه وهما ترتخيان من اللهفة والشوق نحو وجهها ..

ثم ، اغار بهما على شفتيها ..

وهمست له من خلال الأنفاس الحارة التي تلتهب في صدرها :

— ياحبيبي ..

ورددت شفتاه وهما لاتقويان على الانفكاك عن شفتيها :

— ياحبيبتي ..

ثم سكت ..

لم يكن الوقت وقت كلام ..

●

والحكاية تتكرر دائما ..

الحكاية تتكرر في كل يوم ، وانهما متزوجان منذ اعوام طويلة .. وعمرها في السابعة والأربعين ، وعمره في الثانية والخمسين ..

وفي كل يوم ، تتصل به في التلفون من البيت ، فيوعدها في المكان الذي سيراها فيه ..

وتسبقه هي الى المكان ..

وحين يلتقي بها هناك ، تبدأ الرحلة ..

رحلتهما الغرامية ..

وتسير .. ويسير معها .. يده في يدها ، وقلبها يخفق لنداء قلبه في كل لحظة ، فتطويهما امتع لحظات الحب لتنقلهما الى دنيا جديدة يخترعها لهما الخيال في كل ليلة ..

ثم ، تقودها اقدامها بعد ان تتعب الى البيت ..

ويطلب يدها من امها .. يطلبها من الصورة المعلقة في صدر الصالون ..

وتوافق الصورة ..

ويأخذها بين ذراعيه ..

و .. و .. و ..

لعلهما اسعد زوجين في الدنيا .

●


عاصفة في الطائرة

انسابت الطائرة تشق بأزيزهـا الصاخب عرض الفضاء ، وتسرب الدفء الى النفوس المنزوية في اماكن متفرقة فيها ، وقد ارتسم الصمت فوق الوجوه القابعة خلف النوافذ تتطلع الى المدينة الكبيرة من خلال الغيوم الكثيفة ، المتلاحمة في كل مكان من السماء . .

كانوا عشرة ركاب . .

ثلاث نساء . . وستة رجال . . ورجل ديني . .

و . .

تاهت نظراتها في الوجوه الغريبة ، المبعثرة في المقاعد . . وانشغلت للحظات في تأمل اصحاب الوجوه ، ثم عادت بنظراتها الى الرجـل الذي يجلس بجانبها . .

وابتسمت له بحب كبير . .

وانتظرت منه ان يلتفت اليها ، لكنه كان ساهماً عنهـا تماماً . . افكاره تلاحق نظراته الحادة التي تتيه خلف النافذة لتبحث له عن المزيد من الخيال . .

وطال تأملها له . .

ثم ، ملت الأنتظار ، فهمست له وهي تلكز كتفه بيدها لتعيده اليها من رحلة الخيال التي يضيع فيها :

— حسين . . انظر ! . .

عادت نظراته لتسبح في الأتجاه الذي حددته له بنظراتها ، وتمتم وهو يتأمل المدينة من خلال الغيوم :

— تصوري . . المدينة التي عشنا فيها احلى ايامنا تتضاءل من هذا الأرتفاع وتبدو بناياتها الشاخة وكأنها دمى صغيرة قد بعثرتها يد طفل بلا ترتيب ولا نظام . .

غمغمت :

— ياروعة الخيال ! . .

قال وهو يرشقها بنظرة حنان دافئة :

— هل يعجبك الخيال ! . .

قالت كالحالمة :

— واتمنى لو اني اعيش كل عمري فيه . .

— لكن الواقع احلى الف مرة من الخيال الذي لا يطعم ولا يروي . .

— بالعكس . . الخيال احلى . . وانت الذي علمتني ان اعبد الخيال . .

ضحك ، وقال وهو يتطلع الى عينيها بدفء :

— هل تضايقك الدنيا بشيء ! . .

قالت :

— اني اعبدها . .

— لماذا عالم الخيال اذن ! . .

— لأنه يجعلني افكر بحرية اكثر . .

سألها باهتمام :

— ترى . . بماذا كنت تفكرين منذ قليل .

اجابت وهي تضحك له برقة :

— هل تريد ان تعرف . .

— اتمنى لو اعرف ياحبيبتي .. اتمنى لو اعرف ..

قالت وهي تسحب نظراتها منه ببطء لتجعلها تتسرب الى الرجل الديني، المنزوي في مكانه، بعيداً عن الناس الذين في الطائرة:

— تأمل ذلك الرجل ..

— الرجل الديني !.. مابه !..

— بماذا يوحي وقاره اليك ..

— بلاشيء ..

— اقصد .. بماذا يفكر في مثل هذه اللحظات ياترى ..

— بمتاعبه وهمومه ..

كالمستغربة، قالت:

— هل توجد حتى عند هؤلاء متاعب وهموم كبقية الناس !.. اني اشك !..

— ان متاعب هؤلاء اكثر بكثير من متاعب بقية الناس. تأكدي ..

اشاحت بوجهها عنه ..

وعادت لتلقي بنظراتها الى ماوراء النافذه ..

وتاهت خواطرها خلف نظراتها الناعسة ..

وفكرت:

كيف حدث لها كل هذا !.. كيف !.. كيف عرفته بمثل تلك البساطة، واحبته بمثل تلك السرعة !..

لاتدري !..

كل شيء كان يبدو لها اشبه بالحلم .. كل شيء .. كأنها كانت تعيش في حلم طويل، وتريد ان تقضي كل عمرها فيه وهي تحلم .. وتحلم .. وتحلم، وتخاف لو انها تفتح عينيها على الدنيا فتجد ان حلمها اللذيذ قد تبدد وتلاشى ..

كان لقاؤها به صدفة . .

رأته في احدى الحفلات التي كانت تحضرها في كل يوم . .

وكانت هي فتاة الحفلة بلا منازع ، ولولبها الحي الذي لا يعرف معنى الأستقرار . . وكل من في الحفلة قد التفوا من حولها يبادلونها احاديثها . . واكثر من رجل كان يتمنى ان تكون من نصيبه في رقصة من الرقصات الكثيرة التي كانت ترقصها . .

ودخل هو . .

لم يثر دخوله عندها في بادىء الأمر اي شيء . . كان كأي رجل من هؤلاء الذين في القاعة . .

ولم يكن هو يعرف احداً من الموجودين ماعدا صاحب الحفلة . .

كان غريباً عن المكان . . لذلك ، فقد اختار مكانه خلف « البار » ، وانزوى لوحده ، يجرع من الكأس التي امامه بصمت ، ويتأمل الناس بملل كبير . .

واقبلت هي لتملأ كأسها . .

وكان معها صديقه ، صاحب الحفلة ، فقدمه لها :

— الأستاذ حسين علوان . . كاتب قصة من بلدك . .

ثم التفت صاحبه اليه ، واستطرد وهو يقدمها له :

— الآنسة ابتسام ، ابنة صبحي . . المليونير الذي يجمع امواله بعرق جبينه لتبددها له ابنته التي امامك . . والآنسة من بلدك ايضاً . .

وعرفته بسرعة . .

عرفته من خلال كتبه التي كانت قد قرأتها له ، فابتسمت له برقة ، ومدت يدها اليه لتصافح بها يده ، وقالت له وهي تتأمله بأعجاب كبير :

— فرصة سعيدة يا استاذ ان اتشرف بمعرفتك . .

رد بهدوء وهو يتأملها قليلا :

— اهلا وسهلا . .

قالت بعد برهة وهي تعود الى تأمل وجهه المرهق :

— هل تدري يا استاذ . . ان الصورة التي كان خيالي قد رسمها لك من خلال قصصك التي تكتبها تختلف تماما عما انت عليه ! . .

ابتسم ، ورد وهو ينظر اليها من تحت عينيه :

— كيف يا آنسة ! . .

قالت وهي ترشقه بنظرة دافئة وتبتسم له براحة عميقة :

— كان يخيل لي انك . .

قاطعها بسرعة وهو يردلها ابتسامتها بشفتيه :

— في الخمسين من العمر مثلا . .

ضحكت ، وقالت :

— وربما اكثر . .

ضحك ، وقال وهو يزفر انفاسه بضيق :

— علما بان ليس بيني وبينك اي عداء سابق . .

ضحكت ايضاً ، وقالت :

— بالعكس . . واني من اشد المعجبات بقصصك . . انت تكتب باحساس كبير ، واني قد قرأت لك كل ما كتبته . .

ومضى بها الوقت وهي واقفة معه . .

وتحدثا في امور كثيرة . .

واستعرضا معاً في المخيلة ايام بغداد ، واهلها ، ولياليها الناعسة ، وشوارعها . . و . . و . .

وكانت تحس بنسمات عذبة ، دافئة ، ومنعشة من السعادة تملأ نفسها وتنقلها من عالمها الذي هي فيه الى عالم آخر ، جديد وغريب عنها .. عالم السحر والخيال الذي ينسج منه حسين علوان ابطال وبطلات قصصه لتحيا فيه بعض لحظات العمر ..

ثم ، اقبل احد الذين يعرفونها يطلبها للرقص معه ، فاستأذنت منه .. وذهبت مع الشاب الآخر الى حلبة الرقص ، وتركته لوحده ، في مكانه بجانب البار ..

و ..

عادت اليه بعد ان انتهت الرقصة ..

وكانت تسبقها ابتسامتها الساحرة الى شق طريقها اليه ، فبادلها ابتسامتها بابتسامة مماثلة ، وقال لها وهو يتطلع اليها باعجاب كبير :

— انت ترقصين بمهارة فائقة يا آنسة ! ..

ردت عليه بنوع خفيف من الحياء :

— هل اعجبتك الرقصة ..

— واعجبتني التي رقصتها ايضاً .. وكنت اتمنى لو ..

سكت ، وابتلع ريقه بسرعة ، فتساءلت :

— لو ماذا ! ..

قال ونظراته العميقة تلتهمها بجوع شديد :

— تعالي نرقص .. مارأيك ..

ابتسمت له بحرارة ، وتركت مكانها لتسبقه الى حلبة الرقص ، وقام ليلحق بها وهو يقاوم النعاس في عينيه ..

ورقصا معاً اكثر من رقصة مشتركة ..

كانت تحس وهي بين ذراعيه ، وهو يدور بهـا في حلبة الرقص . . ويدور . . ويدور ، وكأنه يأخذها معه ليبتعد بهـا عن المكان الذي يمتلىء بالناس الى عالم الخيال الذي اعتاد ان ينسج منه قصصه دائماً . . ثم ، اخذ احساسها هذا يكبر في نفسها . . وفي قلبهـا . . وفي كيانهـا . . ويكبر . . ويكبر ، وابتدأت تحس بانها ليست الا احدى البطلات اللواتي في قصصه ، فاخذت تبحث وهي بين ذراعيه عن قصصه التي كانت قد قرأتها له ، وتحاول ان تتذكر اسماء بطلات قصصه لتبحث عن نفسها فيهن . .

وعادت اليه من احلامها الدافئة ، وسألته وهي ترشقه بنظرة ناعسة :

— كم ستبقى هنا في لبنان . .

اجابها وهو يشعر بالخدر يتسرب الى جسده من اثر الكؤوس التي شربها :

— لا ادري . . واني قد اعتدت ان لا اقرر اي شيء الا في حينه . .

قالت وهي تخفض عينيها قليلا عن عينيه :

— اما انا ، فقد ابقى هنا بضعة ايام اخرى . .

— انت سعيدة لوجودك هنا اذن . .

— جداً . .

مضت فترة قصيرة من الصمت عليهما ، تجرأ ، وسألها :

— اذن ، نستطيع ان نلتقي مرة اخرى لو ان الحظ يحالفنا . .

ارتبكت قليلا ، فعاد ليقول :

— او لو شئنا فسنبحث معاً عن حظنا في هذا المكان من الدنيا حتى نجده . . ولنبدأ في الغد . . مارأيك . .

لم تكن لتتوقع ان يباغتها في طلبه بمثل هذه السرعة ، فرفعت اليه عينيها وفيهما ذهول عميق ، وتمتمت وهي تطوي جفنيهـا فوق عينيها لتريحهما من الأرتباك :

— غداً ! . .

— لو شئت . .

— متى . .

— حددي انت الوقت الذي يناسبك . .

و . .

كان الصباح الآخر من انسب الأوقات عندها . .

وذهبت اليه بسيارتها . .

وانطلقا معاً الى احد المصايف في الجبل . .

وعادا في الليل . . اعادته الى مكانه ، وعادت هي بسيارتها الى مكانها . .

وكانا قد اتفقا على اليوم الآخر . .

والتقيا ايضاً . . مرات كثيرة . .

واحبته . .

وعادت الى كتبه لتقرأ فيها قصصه . . قرأتها لا كما كانت تقرأها من قبل . . كانت كالباحثة عن شيء في اعماق اشياء غامضة ، فعاشت في اغوار كل بطلة من بطلات قصصه زمناً ، ثم خرجت بنتيجة هي ، انها ليست الا صورة خفية لكل بطلة من بطلات قصصه . . وانها الوجه الآخر الذي كان يعيش في وجدانه من قبل ان تلتقي به في الحياة . . وانها ، هي وحسين ، قصة واحدة لا تختلف ابدا في كل القصص التي كتبها وان اختلفت في الأحداث والسرد . .

ثم ، التقت به في اليوم التالي . .

وسألته ، وكانت قد قررت لأكثر من مرة ان تسأله ذلك السؤال الذي كان يلح عليها في كل مرة تكون فيها مع قصصه :

— حسين . . قل لي ، كيف تختار بطلات قصصك ! . .

سرحت عيناه في عينيها الجائعتين اليه ، وارتعشت عيناها للحظة ،

فسحبتها منه ببطء .. ففكر بسرعة : انها ليست طالبة جواب بقدر ماهي طالبة من يطفىء لها النار المتأججة في الأعماق ..

فمد يده اليها .. وببطء وارتخاء شديدين راح يمرر انامله على شعرها، فرفعت اليه وجهها، وظلت عيناها معلقتين في وجهه، وضمت شفتيها، الواحدة على الأخرى، وانتظرت بقلب واجف ماقد يحدث ..

وانقض على شفتيها بشفتيه، وقبلهما بعنف .. بمنتهى العنف، فتعلقت نفسها بين ذراعيه القويتين اللتين تضغطان جسدها اليه، وتمتمت له من بين شفتيها المذبوحتين على شفتيه :

— حسين ..

ثم سكتت، ولم تقل اي شيء آخر ..

وسكت هو الآخر ..

وتركا للشفاه الجائعة المجال للتعبير عما في اعماقها ..

واحبته اكثر في الأيام الأخرى التي تلت ..

وفي تلك الليلة ..

كانت تقود سيارتها، والدنيا تلفها مسحة من الظلام الخافت، حين التفتت اليه لترشقه بنظرة حب صامتة، فعاد ليسحب نفسه قليلا اليها ويطبع قبلة سريعة على خدها، فصاحت به محذرة :

— حسين ! .. انتبه، وتذكر بأني اقود سيارة، وقد ..

قاطعها وهو يطبع قبلة اخرى على خدها وينسحب بسرعة الى مكانه:

— اني احبك .. احبك ياحبيبتي، فماذا افعل ..

عادت لتصرخ فيه وهي تتمنى لو انه يعود الى تقبيلها الف مرة اخرى:

— حسين ! ..

قاطعها ايضاً وهو يلف يده حول ظهرها ليسحبها اليه :

— آه لو تعلمين كم احبك ..
— مهما يكن حبك هذا فانه لا يمكن ان يوازي حبي لك ..
— تأكدي .. اني احبك اكثر ..
— وانا لا يمكنني ابداً ان اكذب قلبي ..
— ماذا يقول قلبك ! ..
— انه سر .. ومن المحال ان افضح اسرار القلب ..
قال بسرعة وهو يطبع فوق وجهها قبلة اخرى وينسحب الى مكانه :
— هل تتزوجيني ..
سحبت نفسها قليلا منه ، وابطأت من سرعة سيارتها ، ثم ..
التفتت اليه وهي تحس بقلبها يذوب في صدرها من الرغبة للبقاء مدى العمر بين يديه ..
فعاد ليقول لها وهو يضغطها قليلا اليه :
— ماذا تقولين ياحبيبتي ..
قالت بتلعثم شديد وانفاسها تتلاحق في الصدر المضطرب :
— لاادري ياحسين .. لا ادري ..
— لكننا يجب ان نحدد مكاننا من هذا الحب العنيف الذي يشدنا لبعض ..
لم تجبه ..
وقد كانت راضية تماماً بقدر ما كانت مقتنعة ان ليس في الدنيا كلها من سيستطيع ان يملأ مكان حسين في قلبها ..
ووافقت ..
واتفقا في اليوم التالي على العودة الى بغداد ليطلب يدها من اهلها الى الزواج ..

و . .

عادت من خيالها اللذيذ على صوته وهو يهتف بها :

— ابتسام ، ياحبيبتي . . عودي الي ودعيني اشبع عيني منك قبل ان نصل . .

تمتمت له بدلال وهي تلتقي بنظراته الدافئة التي تخترق سماء عينيها الجائعتين اليه :

— بل اريدك ان تبقى في جوع دائم الي . .

— لاتكوني ظالمة . .

همست له بخفوت كأنها تخشى ان يسمعها احد الذين معهما في الطائرة :

— لأني احبك اتمنى دائماً ان اراك في جوع دائم الي . .

قال كأنه يتوسل اليها ان ترحمه من العذاب الذي هو فيه :

— حبيبتي . . حبيبتي . . حبيبتي ، كفي عن الخيال الذي يأخذك مني ، وعودي الي . .

— آه لو تدري الى اين اخذني هذا الخيال . .

— لايهمني الى اين . . يهمني ان اجدك معي في كل لحظة ابحث فيها عنك . .

— حسين . . الا تجد ان حكاية حبنا هذه اغرب من الخيال ! . .

— اغرب بكثير ! . .

— وانها قد تصلح ان تكون قصة حب طويلة تكتبها انت في يوم من الأيام . .

— ستكون اروع قصة حب اكتبها في حياتي . .

فجأة . .

احس الجميع على الطائرة وهي تتمايل في مكانها ، وتترنح كالمثمولة في

السماء ، ثم مضت لحظات مضطربة وعادت بعد قليل لتستقر على وضعها الأول .. وعاودت الطيران ..

وتساءل الجميع وقلوبهم يهدها الخوف من المضيفة عن السبب ، فابتسمت المضيفة لهم في وجوههم ابتسامتها التقليدية الشاحبة وطمأنتهم الى عدم وجوب الخوف من شيء طبيعي قد يحدث العديد من المرات في كل رحلة نتيجة للجيوب الهوائية ..

لكن ، لم تمض سوى دقائق قليلة حتى تلبد الجو بطبقة كثيفة من الرمال ..

وتاهت الطائرة وسط الرمال تبحث عن طريقها ولا تجده ..

كانت العاصفة قوية ..

وطغت في النفوس موجة عنيفة من الخوف ..

وغادر الرجل الديني مكانه ، وتوجه الى غرفة القيادة ، فحاولت المضيفة ان تمنعه من الدخول ، لكنه دفعها عن طريقه بلباقة ، وغاب في داخل غرفة القيادة بضع دقائق ، ثم مالبث ان عاد منها وقد التهب وجهه بالقلق ..

واستقرت في وجهه عشرات النظرات الحائرة ، المشبعة بالخوف ، تستفسر منه عن السر الذي استطاع ان يطلع عليه دون غيره من الركاب ..

ومضت لحظات مسمومة ، وتكلم الرجل الديني اخيراً باعصاب منهارة يهدها الأعياء ، وقال :

— اخواني ، واخواتي .. فلأكن اكثر صراحة معكم وانا اكلمكم من قائد الطائرة ومساعده وهذه المضيفة التي تبتسم لكم كلما تطالعكم بنظراتها من الخوف .. فلقد علمت منذ قليل من قائد الطائرة نفسه اننا في خطر .. وانظروا انتم بأنفسكم الى هذه العاصفة التي يشتد جنونها لحظة اثر لحظة ..

تعالى اللغط من كل مكان في الطائرة ، وصاحت احدى النساء بكل

صوتها وهي تلطم وجهها بكفيها :

— ارحمنا يارب . . ارحمنا . .

واصل الرجل الديني كلامه وهو يمسح عن وجهه المحتقن بالخوف ذرات عرقه :

— لقد اتصل قائد الطائرة كما اخبرني منذ قليل بالمطار فأعزوا له ان يعود بطائرته الى بيروت حيث ان العاصفة هذه لن تهدأ في اقل من ساعات . . اما عن العودة الى بيروت فانه شيء في امر المستحيل ، وذلك لعدم وجود الوقود الذي يكفي للعودة الى هناك . .

قال احد الرجال وهو يترك مكانه ويهرع صوب الرجل الديني وقد تولاه الذعر :

— والعمل ياسيدنا ! . .

قال الرجل الديني وهو يوجه كلامه لكل من في الطائرة :

— اعزائي . . تذكروا فقط هذا الشيء ، وهو ان الموت ينتظر كل واحد منا في اية لحظة ، وقد تسقط الطائرة في مكان ما ونذهب جميعاً ضحايا لهذه العاصفة . . وان الذي اود ان اقوله لكم ونحن نودع هذه الدنيا الفانية ونستقبل العالم الآخر هو ان نصفي انفسنا من كل ماعلق بها من الخطايا . .

صاحت بالرجل الديني احدى النساء وهي تهب من مكانها اليه وقد خارت كل اعصابها للكلمات التي سمعتها منه :

— ماهذا الكلام الذي تقوله ياسيدنا ! . . ماهذا الكلام ! . .

واصل الرجل الديني كلامه من غير ان يلتفت اليها :

— في مثل هذه الحالة ، لا يجب ان نخدع انفسنا يا اخوان . . وان الذي ارجوه منكم جميعاً هو ان تغسلوا نفوسكم بماء التوبة قبل ان تستقبلوا ربكم

الذي في السماء .. توجهوا الى الله بالدعاء الحار ، واطلبوا منـه ان يغفر لكم خطاياكم .. والصراحة .. اوصيكم بالصراحة ياإخوان .. واعلموا ان الله يعلم ما في النفوس ..

ثم ..

بلغت الطائرة منتهى مراحل الخطورة ، وراحت تتخبط في السماء على غير هدى ، فأثارت في النفوس المزيد من الخوف والرهبة ..

والتفتت اليه ، وهمست له وهي تطبق نفسها فيه وكأنها تريده ان يحميها من الموت الذي بات اقرب اليها منه :

— حسين .. هل سنموت حقاً ياحسين ! ..

اخذ يدها في يده ، وقال وانفاسه الحارة تلهث في صدره من الخوف:

— الموت موت على اية حال ..

فغمغمت بصوت باك :

— وكيف ! . . كيف نموت ، ياالهي ، كيف ! . .

قال بهدوء وخوفه يكبر في نفسه :

— لايجب ان نكون جبناء ونحن نستقبل الموت ياحبيبتي ، وتذكري . . ان حبنا هذا سيبقى معنا حتى بعد الموت . .

هدأت للحظة ، ثم عادت لتقول له وهي تبتلع ريقها بصعوبة وتحس كأن يداً ثقيلة تضغط على عنقها بقوة فتخنقها :

— حسين . . اردت ان اقول لك . .

— ماذا ياحبيبتي . .

— ياالهي . . لاادري ماذا اقول . .

— ماذا ياحبيبتي . .

— اني لااستطيع ان اواجهك بالحقيقة التي كنت اتمنى لو انك

لاتعرفها .. لكن، هذا الرجل الديني ياحسين ..

قال :

— مابه

— جعلني هذا الرجل اعود الى نفسي فأحاسبها .. واني لا اريد ان اموت وانا ملطخة بالوحل ..

قال وهو يشفق عليها من حالة الهذيان التي تولتها :

— اي وحل هذا ياحبيبتي ! .. وانت انقى فتاة عرفتها في حياتي ! ..

قالت بتأوف وهي تحاول ان تجعله يفهمها ولا تستطيع :

— كلا .. اني لم اقصد هذا ، ياالهي .. لم اقصد هذا ..

— ماذا اذن ياحبيبتي ! ..

قالت وهي تغمض عينيها كأنها تريد ان تنسى وجودها معه في هذا المكان :

— بصراحة ، وارجو ان لاتغضبك صراحتي .. اني لم اكن احبك ..

صعقته كلماتها ، فحول عينيه المرهقتين اليها ، وابقاها في عينيها زمناً .. كأنه كان يريد ان يبحث في عينيها عن مبلغ الصدق في كلماتها ثم حادفاً بعدها عنها ليلقيها على الرجل الديني ، وقال :

— ماذا قلت ! ..

— ان حبي لك لم يكن ليتعدى اعجابي بما كنت تكتبه من قصص ..

— قصص ! .. هل قلت قصص ! ..

— انها الحقيقة التي يجب ان تعرفها عني ..

صاح بها وهو يكظم في ذاته حقده لذلك الرجل الديني الذي تسبب

في طعنه بالقلب :

— ماهذا الجنون ! . .

قالت باشفاق وهي تتلوى من العذاب :

— كان يخيل لي اني سأحبك بعد الزواج . .

ابعد وجهه عنها . .

الخائنة . .

القذرة ، كانت لاتحبه . . كانت تحب قصصه . . اي جنون هذا الذي يركب العالم في هذه الساعة ! . .

ماذا تريده ان يقول لها ! . . ماذا ! . .

ومضت لحظات صمت قاتلة بينهما . .

ثم ، عاد اليها على حركة الطائرة وهي تنازع ، وتصارع العاصفة الهوجاء بيأس ، وتوشك في كل لحظة على السقوط ، وقال لها بهدوء وهو يحاول ان يتمالك اعصابه المنهارة ولا يستطيع :

— ابتسام . . لقد ابتدأت انا الآخر اؤمن بما كان يردده ذلك الرجل الديني . .

رفعت رأسها اليه ، فأستطرد :

— اني انا الآخر ، كنت لا احبك . .

صاحت كأنها بوغتت لطعنة غادرة توجه اليها من الخلف في الصميم فتقتلها :

— انت ! . .

— واعذريني . .

— ماذا تقول ياحسين ! . .

تمتم بعذاب كبير :

— كنت اطمع في ثروتك .. واني اعتذر لسفالتي ..

— غير معقول ! .. انت ! .. انت تطمع في المال ! ..

طأطأ رأسه وهو يشعر بالخجل منها ، فواصلت وهي تتأمله ولا تصدق :

— وجعلتني احبك كل هذا الوقت .. كيف خدعتني ياحسين ! ..

— لكنك لم تحبيني ! ..

قالت بارتباك :

— اقصد ، جعلتني اثق فيك كل هذه الثقة ..

— اني اعتذر بشدة ..

قالت بعد لحظة وقلبها تذبحه المخاوف :

— اني اغفر لك مادمت قد غفرت لي ..

وتركته ، وعادت الى نفسها الغارقة في بحر من الخوف ..

وتجاهلها ، وابعد نظراته عنها ليجعلها تحلق وراء الرجل الديني المنزوي في مكانه يتمتم فيما بينه وبين نفسه بكلمات غير مسموعة ، وانشغل كل لحظات قلقه في تأمله ..

ثم ، فجأة ..

ارتطمت الطائرة بشيء ..

ومضت لحظات قليلة ، ثم اعلن قائد الطائرة عن هبوطها بسلامة على ارض المطار ..

واعتلت الفرحة وجوه الكل ، فاطلقت احدى النساء زغردة عالية وهي تتلقى النبأ ، بينما هب اكثر من رجل ليسبق غيره الى فتح باب الطائرة ..

وغادرا الطائرة مع من غادرها من الركاب ..

وسألته وهما على ارض المطار :

— حسين .. هل سأراك هنا في بغداد ..

قال وابتسامته الصغيرة تتعذب فوق شفتيه :

— كلا .. فقدانكشف زيفنا لبعض ، واني اشعر كلما نظرت اليك باني من احط الرجال في الدنيا ..

ثم ذهب ..

وتركها لوحدها على ارض المطار .

تم طبع الكتاب
على مطابع
دار البصري - بغداد
١٧ / ٣٠٠٠
١٩٦٩

فهرست

للمؤلف

* التائهة التافهة	رواية	١٩٥٨ (نفدت)
* اين تذهبين	رواية	١٩٦١ (نفدت)
* كانت لنا ايام	مجموعة قصص	١٩٦٦ (نفدت)
* الحب اقوى	رواية	١٩٦٧ (نفدت)
* بيت الذكريات	رواية	١٩٦٨
* رحلت عني	مجموعة قصص	١٩٦٨
* الرجل الذي يكره النساء	مجموعة قصص	١٩٦٩

تحت الطبع :

* العيون الجائعة	رواية
* طريق البنات	رواية
* خمسة رجال وامرأة	مجموعة قصص

المكاتبات :

حازم مراد

ص . ب . (٣٤٨)

بغداد — العراق

ت : ٩٠٣٧٠